

الإخلاص سر التقدم

الإمام الشَّيْزِي

قدس سره الشريف





الإخلاص سر التقدم

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

| | |
|----------------------|---------------------------|
| إيران | مكتبة الأمين |
| ص ب ٤٣٥٩ ق م - إيران | |
| الكويت | هاتف ٢٤٥٥٦٩٦ فاكس ٢٤٥٧١١٧ |

هيئته محمداً الأمين

الإخلاص سر التقدم

المرجع الذي لا يحصى على الرسل آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
أعلى الله مقامه

هيئته محمد محمد علي
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أمروا
إلا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء

سورة البينة : الآية : ٥ .

كلمة المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد الأنبياء والمرسلين
محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.
أما بعد...

فالإخلاص سر من أسرار الله تعالى، يودعه في قلب من يشاء
من عباده، ليسيروا بهداه، لا توقفهم عقبة، ولا تلهيهم مغريات
الدنيا الفانية، حتى يصلوا إلى الغاية التي ما بعدها غاية، والفوز
الذي ليس فوقه فوز، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «الإخلاص
غاية»^(١).

ويقول عليه السلام في مقام آخر: «الإخلاص أعلى فوز»^(٢).
والإخلاص ليس طريقاً إلى ثواب الآخرة فحسب، بل هو
طريق إلى تقدم الإنسانية، وهو سرُّ كل تطور يشهده البشر.
فالإخلاص في تربية الأبناء يبني مجتمعاً متماسكاً وقادراً على

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

البقاء والتقدم والرفي.

والإخلاص في التعليم والتعلم يسمو بالمجتمعات إلى مراتب عالية في الحضارة والعلم.

والإخلاص في النصيحة والمشورة يؤسس أرضاً خصبة لنمو شجرة الأخوة الإنسانية بين أفراد المجتمع.

والإخلاص في الدفاع عن الوطن يبعد أيدي الأعداء الذين يحاولون المساس بالوطن وأرضه وشعبه وخيراته.

وبعبارة موجزة يمكن القول: إن الإخلاص في العمل - أيّ عمل كان - سيؤدي إلى الوصول إلى الأهداف المرجوة من ذلك العمل، بل هو أقرب الطرق وأكثرها استقامة إلى تلك الأهداف، لأنه طريق لا تعثره عثرات الجهل، ولا يخيم عليه ظلام الشر، ولا يقود مرتاديه إلى مهاوي الردى والضلال.

فما قولك إذا كان الإخلاص متوجهاً من العبد إلى المعبود عزوجل وإلى أوليائه عليهم السلام؟

وما قولك حين ترى كيف يتفانى العبد في ذات ربه المقدسة، ويخلص له في كل حركة أو قول أو فعل أو سكون؟

إنه بلا ريب نعم الإخلاص، فإنه مما يضمن لصاحبه أجر الدارين: الدنيا والآخرة، فإن «الإخلاص عبادة المقربين»^(١) كما يقول سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٣.

وفي هذا الكتاب ينقل لنا سماحة الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته) جملة من الكرامات التي نالها المخلصون، ومنهم الشعراء والأدباء والعلماء وطلبة العلم وغيرهم من المؤمنين، من الذين عاشوا في مختلف الأزمنة والأمكنة، فمنهم المخضرمين ممن عاشوا في الجاهلية والإسلام، ومنهم من ولد في الصدر الأول للإسلام، أو في الفترات التالية، وحتى عصرنا هذا، ولم يجمعهم إلا شيء واحد، ألا وهو إخلاصهم لذات الله عزوجل ولأوليائه المقربين عليهم السلام، مما جعلهم يستحقون أن يخلد لهم التاريخ، وأن يكونوا تكون قصصهم مناراً تهتدي به الأجيال من بعدهم، وأن تفتخر بهم هذه الأجيال، وتذكرهم بأجل كلمات التبجيل والاحترام، وكيف لا وقد أخلصوا في أعمالهم، وأخلصوا في أهدافهم، وأخلصوا في علاقاتهم فيما بينهم، وأخلصوا - قبل هذا وذاك - في علاقتهم مع الله عزوجل وأوليائه الصالحين عليهم السلام.

هذا، وإن هدف سماحة الإمام الشيرازي (أعلى الله درجاته) من جمع هذه القصص هو أن يؤكد على حقيقة الإخلاص، وأن يرسم للأجيال طريقاً واضحاً، «لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً»^(١)، يوصل إلى مستقبل زاهر لهذه الأمة الإسلامية، ويخرج بها من عهد الانحطاط والتبعية الفكرية والثقافية والمادية كغيرها من

(١) سورة طه: ١٠٧.

الأمم ، وليصل بها أخيراً إلى الحياة التي ينظر إليها الله جل وعلا
بعين الرضا والقبول إن شاء الله تعالى .

وهذا العمل إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على إخلاص هذا
الرجل المتفاني في ذات الله تعالى ، وإن جمعه (أعلى الله درجاته) لهذه
القصص والعبر ووضعه إياها بين أيدي الناس سهلةً يسيرةً إنما يدلُّ
على ما يمكنه سماحته لأبنائه المؤمنين من محبة مخلصة ، وما يتمناه
لهم في حياتهم الدنيا وفي حياتهم الأخرى .

سائلين المولى أن يجزي الإمام الراحل خير جزاء المحسنين ، وأن
يوفقنا وجميع المؤمنين للإخلاص في العمل إنه سميع مجيب .

مركز الرسول الأعظم ﷺ للتحقيق والنشر

بيروت - لبنان

١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م

المقدمة



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١).

الإخلاص معناه تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الخالق^(٢) وهو واقع لنتائج، عرفها الإنسان أو لم يعرفها، والغالب عدم المعرفة بها، مثل عدم معرفة الإنسان للأدوية والعقاقير الطبية، والتي تم التوصل إلى تركيب أغلبها باستغراق الكثير من الجهد والوقت، ولا يكون ذلك فقط لأجل الحذر من العذاب الأخروي وكسب الرضوان الأكبر المتمثل بالجنان فحسب، بل للدنيا أيضاً كالكاسب والشاعر والمتفقه والفلكي والمحاسب وغيرهم ممن

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) يقول صاحب (منية المريد) ص ١٣٢: والأمر الجامع للإخلاص تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الله تعالى بالعبادة، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١-٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (١-٢)، وقال تعالى: ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (١-٢).

استوعبهم المجتمع البشري ، فإذا شرع الإنسان في عمله وعلمه
بإخلاص وإيمان نجح نجاحاً منقطع النظير ، ذلك من غير فرق بين
الإخلاص للعمل - إن لم يكن مؤمناً - أو لله إذا كان مؤمناً موقناً.
وفي هذا الكتاب : (الإخلاص سر التقدم) ذكرنا جملة من
الشعراء والأدباء الذين تميزوا بالإخلاص فتقدموا وبقوا وتركوا
بصماتهم في وجه التاريخ.

﴿وَلَا جُرْأِيَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾^(١) مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر^(٢).

نسأل الله أن يوفقنا للإخلاص ودرجاته العالية وأن يقرن
أعمالنا برضاه وهو الموفق المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

شوال / ١٤١٩ هـ

(١) سورة يوسف : ٥٧ .

(٢) راجع غوالي اللاكلي : ج ٤ ص ١٠١ ح ١٤٨ ، وفيه : في الحديث القدسي : «أعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» .

لا زلت مؤيداً بروح القدس

روي في الحديث: إن رجالاً من قبيلة قريش كانوا يهجون النبي ﷺ: كابن الزبيري، وأبي سفيان، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب، وكان حسان بن ثابت^(١) يدافع عن رسول الله ﷺ ويرد عليهم، فتركوا هجاء الرسول ﷺ خوفاً من لسان حسان بن ثابت، وكان هو ناصر النبي ﷺ باللسان واللسان، ومخصوصاً هو وعبد الله بن رواحة فقال لهما رسول الله ﷺ: «لن تزالا تؤيدان بروح القدس ما ذبيتما عنا بألسنتكما»^(٢).

والمراد بروح القدس: هو جبرئيل الأمين عليه السلام كما قالوه في تفسير الآية: «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»^(٣).
عن ابن الكلبي أنه قال: كان حسان لساناً شجاعاً أصابته علّة

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمر بن زياد الأنصاري المدني الخزرجي، من الشعراء المشاهير في زمن الجاهلية والإسلام. ويكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام، عاش حسان مائة وعشرين عاماً، ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، ولد عام (٦٠) قبل الهجرة (٥٦٣م) أي قبل عشرين عاماً من عام الفيل، كان يكتسب بشعره في الجاهلية، أما في الإسلام فقد كان شاعر الرسول الأعظم ﷺ فكان النبي ﷺ يعطيه ويحنو عليه، وما زال يعيش من ذلك حتى ذهب إلى الرفيق الأعلى.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٩٦ ح ١٢٢٤٩.

(٣) سورة البقرة: ٨٧، و٢٥٣.

فجبن وفر، وقيل: إنه لم يشهد قط مشهد قتال أو حرب وذلك لجبنه وقلة شجاعته.

وفي بعض التواريخ: عن صفية بنت عبد المطلب عمّة الرسول الأكرم ﷺ أنها قالت: صعدنا يوم أحد على الآطام - وهي رؤوس التلال - وكان معنا حسان بن ثابت، ونحن في محل مرتفع فجاء نفر من اليهود يرومون التلال التي كانت عليها بعض النسوة فقالت صفية له: (دونك يا حسان) فقال: (والله لا أستطيع القتال)، ثم صعد يهودي إلى محل النسوة فقالت صفية: فناولني حسان السيف فضربت عنق اليهودي ورميت برأسه إلى رفاقه فانكشفوا من حولنا^(١).

هذا، ولطائف أشعاره كثيرة لا يسع المقام تفصيلها، وخير ذلك كله بإجماع المتدبرين، ما كان قد أنشده في رسول الله ﷺ، ويقال: إنه قيل له: لأن شعرك في الإسلام يا أبا الحسام؟ قال: إن الإسلام يحجز عن الكذب، يعني: أن الشعر لا يحسنه إلا الإفراط في الكذب والتزيين به، والإسلام يمنع من ذلك، وقال أيضاً: لا يجيد شعراً من يتقي الكذب.

وقيل: أصدق بيت قالته العرب قول أسيد بن أبي إياس في سيدنا رسول الله ﷺ:

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ كَوْرِهَا
أَبْرَ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٤٤ ح ٩.

ونظيره في الصدق قول حسان بن ثابت في رسول الله ﷺ :
 وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 وَمَا مِثْلُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ^(١)
 وأما قول النبي ﷺ : «أصدق كلمة قالها ليبد» :
 إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ مَّا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ
 وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ^(٢)

فتلك أصدق كلمات ليبد ضمن شعره وأدبه ، لا أصدق من
 تلك الكلمات مطلقاً.

ولما تصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام بخاتمه في حال الركوع ،
 وتشرف بنزول الآية المباركة فيه : «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 رَاكِعُونَ»^(٣) ، كبر النبي ﷺ ، فأنشأ حسان يقول :
 أَبَا حَسَنٍ تَفْدِيكَ نَفْسِي وَمُهْجَتِي
 وَكُلُّ بَطِيءٍ فِي الْهَوَى وَمُسَارِعٍ
 أَيْدَهُبٌ مَدْحِي وَالْمَحْبَرُ ضَائِعٌ
 وَمَا الْمَدْحُ فِي جَنْبِ إِلَهٍ بِضَائِعٍ

(١) مناقب آل أبي طالب : ج ١ ص ٢١٠.

(٢) راجع بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٩٥.

(٣) سورة المائدة : ٥٥.

فَإِنْتَ الَّذِي أُعْطِيتَ إِذْ كُنْتَ رَاكِعًا
 زَكَاةً فَدَتُّكَ النَّفْسُ يَا خَيْرَ رَاكِعٍ
 فَأَنْزَلَ فِيكَ اللَّهُ خَيْرَ وِلَايَةٍ
 وَثَبَّتَهَا فِي مُحْكَمَاتِ الشُّرَائِعِ^(١)

وقد ذكر سبط ابن الجوزي شعراً لحسان بن ثابت في نزول الآية
 الكريمة في شأن علي عليه السلام وهو هذا:

مَنْ ذَا بَخَاتِمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعًا
 وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَارًا؟
 مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ
 وَمُحَمَّدٌ أَسْرَى يَوْمُ الْغَارَا؟
 مَنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ سُمِّيَ مُؤْمِنًا
 فِي تِسْعِ آيَاتٍ تَلِينَ غِزَارَا؟^(٢)

ومن ذلك أيضاً شعر حسان - يوم الغدير - ، وقد استأذن رسول
 الله ﷺ قائلاً: ائذن لي يا رسول الله! أن أقول في علي عليه السلام
 أبياتاً تسمعهن؟ فقال ﷺ: «قل على بركة الله».
 فقام حسان فقال:

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ
 بِخُصْمٍ فَاسْمَعُ بِالرُّسُولِ مُنَادِيَا

(١) راجع الصراط المستقيم: ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) راجع شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٣٧.

وَقَدْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
بِأَنَّكَ مَعْصُومٌ فَلَا تَكُ وَأَنْبِيَا
وَيَلْغُفُ لَهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ رُبُّهُمْ
وَأَنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَحَاذَرْتَ بَاغِيَا
عَلَيْكَ فَمَا بَلَّغْتَهُمْ عَنْ إِلَهُهِمْ
رَسَالَتَهُ إِنْ كُنْتَ تَخْشَى الْأَعَادِيَا
فَقَامَ بِهِ إِذْ ذَاكَ رَافِعَ كَفِّهِ
بِكُفٍّ عَلَيَّ مُعَلِّنِ الصَّوْتِ عَالِيَا
فَقَالَ: فَمَنْ مَوْلَاكُمْ وَوَلِيُّكُمْ
فَقَالُوا: وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ تَعَامِيَا
إِلَهُكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيِّنَا
وَلَنْ تَجِدَنْ فِينَا لَكَ الْيَوْمَ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ! فَإِنِّي
رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَاماً وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ
فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقِ مَوَالِيَا
هُنَاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيُّهُ
وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيّاً مُعَادِيَا
فَيَا رَبِّ أَنْصُرْ نَاصِرِيهِ لِنَصْرِهِمْ
إِمَامَ هُدَى كَالْبَدْرِ يَجْلُو الدِّيَا جِيَا

فأقره النبي ﷺ واستحسن شعره^(١). لكن بعض أصحاب كتب الرجال يسقطون أمثال هذا الرجل من أعلامهم، ومن حسابهم لأسباب غير خفية، مع أنهم يذكرون كثيراً من المغمورين المجاهيل الذين هم بحسب الظاهر أقل شأنًا منه بكثير. هذا، وإن حسان بن ثابت لم يمدح رسول الله ﷺ ولا أمير المؤمنين عليه السلام رغبة أو رهبة، أو خوفاً من سيف مسلط على رقبتة إن لم يمدحهما، كما لم يكن يأمل جائزة سنية تقتضي الملق والتودد الزائف، بل مدحهما لأنهما (صلوات الله وسلامه عليهما) يستحقان ذلك وأكثر. وحيث إنه لا توجد رهبة ولا رغبة في مدحهما، فإن عمل حسان هذا ما هو إلا الإخلاص المحض، والعمل الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا وسفاسفها، والذي لا يقدم عليه إلا الأخيار الأطهار الذين كان أمير المؤمنين عليه السلام يبحث عنهم حين قال: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهروا قلوبهم بمواضع ذكر الله»؟^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٨.

جزاك الله خيراً يا ابن رواحة

روى الصحابي البراء بن عازب الأنصاري، قال: أخبر رسول الله ﷺ بأن أبا سفيان ينال منه ويهجوّه، وكان عبد الله بن رواحة^(١) حاضراً في المجلس، فطلب من النبي ﷺ أن يأذن له بالرد عليه شعراً.

فسأله النبي ﷺ: «هل تقدر على أن يكون مطلع الرد بعبرة: ثبت الله؟» قال عبد الله بن رواحة: نعم، أنا أنشأت:

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ
تَثْبِيتِ مُوسَى وَنَصْرًا مِثْلَ مَا نَصَرُوا

فدعا له النبي ﷺ وقال: «جزاك الله خيراً».

وله في مدح الإمام علي عليه السلام:

(١) هو عبد الله بن رواحة بن امرئ القيس من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، أسلم عبد الله بن رواحة وشهد بيعة العقبة الثانية سنة (٦٢٢م) وكان أحد النقباء الاثني عشر، ثم عمل على نشر الإسلام في المدينة فأصبح عظيم القدر أثيراً عند الرسول ﷺ، ولقد زاد في مكانته أنه كان يعرف الكتابة فاتخذهُ الرسول ﷺ كاتباً وكذلك كان شاعراً يرد على المشركين، وكان لعبد الله بن رواحة مقدرة عسكرية ظاهرة، شهد مع الرسول ﷺ معركة بدر الكبرى واستشهد في مؤتة في جمادي الأول سنة (٦٢٩هـ/٦٢٩م) وهو من الشعراء والرجّاز المحسنين المجيدين.

لِيَهْنِ عَلَيَّ يَوْمَ بَدْرٍ حُضُورُهُ
 وَمَشْهَدُهُ بِالْخَيْرِ ضَرْباً مُرْعَباً
 وَكَائِنْ لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ غَيْرِ خَامِلٍ
 يَظَلُّ لَهُ رَأْسُ الْكَمِيٍّ مُجْدِلاً
 وَغَادَرَ كَبْشَ الْقَوْمِ فِي الْقَاعِ ثَاوِيّاً
 تَخَالَ عَلَيْهِ الزُّعْفَرَانُ الْمُعْلَلاً
 صَرِيحاً يَنْوُو الْقَشْعَمَانَ بِرَأْسِهِ
 وَقَدْنُو إِلَيْهِ الضَّبْعُ طَوَلاً لِنَآكِلِ^(١)

إن عبد الله بن رواحة تطوع بوازع داخلي صميمي ليرد على
 الشاعر الهاجي المناوي بما يقل غربه ويثلم شراسته، ولم يكن هناك
 أي إلزام له من قبل رسول الله ﷺ، وإنما هو الالتزام النابع من
 الوجدان المسلم الرفيع، الذي يرى لزماً عليه أن يؤكد انتماءه
 ويخلص لدينه، والإخلاص أكثر ما يتجلى في الذود عن العقيدة
 بالنفس والمال واللسان، لذا انبرى شاعر أهل البيت ﷺ عبد الله
 بن رواحة ليزود عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام متوخياً
 الطاعة، ولا شيء غير الطاعة، واضعاً نفسه في مملكة السعداء
 الذين وصفهم يعسوب الدين أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «السعيد
 من أخلص الطاعة»^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٩٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٧ ح ٣٢٧٠.

بردة الرسول ﷺ

روي أنه كان لكعب بن زهير^(١) أخ شقيق اسمه بجير، شاعر مثله، لما ظهر الإسلام تأخر بجير وكعب عن الدخول فيه، ولكن لما زاد انتشاره أسلم بجير سنة (٧هـ)، ثم شهد فتح مكة، أما كعب فإنه بقي على الشرك وأخذ بهجاء أخيه بجير وهجاء رسول الله ﷺ فأهدر النبي ﷺ دمه، فأرجف الناس بقتله فضاعت عليه الأرض بما رحبت، فعزم في سنة (٩هـ) على أن يستأمن إلى الرسول ﷺ فجاء سراً إلى المدينة واستشفع بأبي بكر ثم سار على إثره حتى دخل المسجد فقال لكعب للرسول ﷺ : يا رسول الله رجل يبايعك على الإسلام وبسط يده وحسّر عن وجهه وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله ﷺ.

فقد روى أصحاب السير: أن كعباً وبجيراً ابني زهير خرجا إلى أبرق العراق، فقال بجير لكعب: أثبت في غنمنا هنا حتى آتي هذا الرجل - يعني النبي ﷺ - فأسمع كلامه، وأعلم ما عنده، فأقام كعب، ومضى بجير إلى النبي ﷺ فسمع منه وآمن به، فبلغ ذلك

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المشهور، كان من فحول الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وكان يقال: أشعر الشعراء في الجاهلية زهير، وأشعرهم في الإسلام ابنه كعب.

كعباً، فغضب وقال :

أَلَا بَلَّغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً
فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَاسًا رَوِيَّةً
وَأَنهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الْهَدَى وَتَبِعْتَهُ
عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْكَ غَيْرُكَ دَلَّكَ
عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تُلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا
عَلَيْهِ وَلَمْ تُعْرِقْ عَلَيْهِ إِخَا تَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتَ بِأَسِيفٍ
وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعًا تَكَ

وأرسل تلك الأبيات إلى أخيه بجير، فلما بلغته أخبر بها رسول الله ﷺ فلما سمع قوله : سقاك المأمون، قال ﷺ : «مأمون والله»، وذلك أنهم كانوا يسمون رسول الله ﷺ (المأمون)، ولما سمع أيضاً ﷺ قوله : (على مذهب)، ويروى : (على خلق لم تلف أمًّا) البيت، قال ﷺ : «أجل، لم يلف عليه أباه ولا أمه»، ثم إن رسول الله ﷺ قال : «من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله»، وذلك عند انصرافه ﷺ من الطائف، فكتب إليه أخوه بجير بهذه الأبيات :

أَمِنْ مُبْلَغٍ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي
 نَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْطِلًا وَهِيَ أَحْرَمُ
 إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَى وَلَا الْإِلَاحُ وَحْدَهُ
 فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
 لَدَى يَوْمٍ لَا تَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
 فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ
 وَدَيْنُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وكتب بعد هذه الأبيات: ما أحسبك ناجياً، فإن كان لك في
 نفسك حاجة فصر إليه، فإنه يقبل من أتاه تائباً، ولا يطالبه بما تقدم
 قبل الإسلام.

فلما بلغ كعباً الكتاب أتى إلى قبيلة مزينة لتجيره من رسول
 الله ﷺ، فأبت ذلك عليه، فحينئذ ضاقت عليه الأرض بما
 رحبت، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان عدوه، فقالوا:
 هو مقتول، فقال قصيدته المشهورة يمتدح فيها النبي ﷺ ويذكر
 خوفه وإرجاف الوشاة، ومطلعها:

بَانَتْ سَعَادُ هَقْلَبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ
 مُتَيْمُ إِرْهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
 وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا
 إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

يَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَأَنَّهَا مِنْ هَلٍ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

ومنها:

تَسْعَى الْوَشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وَقَوْلُهُمْ
نَرَاكَ يَا بَنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُوْلُ
وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ:
لَا أَلْهَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَقُلْتُ: خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مُفْعُولُ
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَأَتْ سَلَامَتُهُ
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولُ
أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ-
قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ
أَذْنِبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ

ومنها:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
 يَبْطَنُ مَكَّةَ لَمَّا اسْلَمُوا زُؤَلُوا
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
 عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ
 شُمُّ الْعَرَانِيِّنَ أَبْطَالَ لُبُوسُهُمْ
 مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل على رجل من قبيلة جهينة
 كانت بينهما معرفة، فأتى به إلى المسجد، ثم أشار إلى مكان
 رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله ﷺ فقم إليه واستأمنه
 على نفسك، وعرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التي وصفها له
 الناس، وكان مجلس رسول الله ﷺ بين أصحابه مثل موضع
 المائدة يلتفون حوله حلقة حلقة، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم، ثم
 يقبل على المجموعة الأخرى فيحدثهم، فقام إليه حتى جلس بين
 يديه فوضع يده في يده، ثم قال: يا رسول الله! إن كعب بن زهير
 جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به،
 قال ﷺ: «نعم». ولم يكن رسول الله ﷺ يعرف كعباً، ولا
 رآه قبل ذلك، قال: يا رسول الله! أنا كعب بن زهير.

فقال ﷺ: «الذي يقول ما يقول»، ووثب رجل من الأنصار،
 فقال: يا رسول الله! دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال ﷺ:
 «دعه عنك فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً».

ثم أنشد للنبي ﷺ قصيدته المذكورة، فلما بلغ إلى قوله:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوفٌ

أشار رسول الله ﷺ إلى من حوله أن اسمعوا.

ويروى: أن كعباً أنشد في قصيدته: من سيوف الهند، فقال

رسول الله ﷺ: «قل: من سيوف الله».

فلما أتى على آخرها رمى الرسول الكريم ﷺ عليه بردة كانت

عليه، ولذلك سميت هذه القصيدة بـ (البردة).

وقال أبو بكر ابن الأنباري: إن معاوية بذل لكعب في البردة

عشرة آلاف، فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً،

فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً، فأخذها منهم
وهي التي كانت تلبسها الحكام في الأعياد^(١).

وكان إسلام كعب بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف وغزوة

تبوك، وذلك في السنة التاسعة من الهجرة.

ومن شعره الذي يشهد بحسن عقيدته، ويدل على إخلاص

سريره، قوله في مدح أمير المؤمنين ع: **صِهْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ**

فَكُلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْضَّرِّ مَفْخُورٌ
صَلَّى الصَّلَاةَ مَعَ الْأَمِيِّ أَوْلَهُمْ

قَبْلَ الْعِبَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورٌ^(٢)

(١) راجع الدرجات الرفيعة: ص ٥٤٠.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٢٧٤.

إن من يقرأ البردة (قصيدة كعب) قراءة متأنية، ويتعمق فيها بترث، يتلمس فيها السبك الجيد والجزالة المشتهة، ويتذوق النواحي الجمالية فيها، حيث لا ضعف ولا ارتباك ولا خلل، وكل بيت يمهّد لتاليه، والأجزاء مرتبطة بعري لا انفصام لها، فلا نفرة في النسيج الكلي للقصيدة، ولا فجوة بين بيت وآخر، والبعض - كما يقال - يأخذ برقاب البعض. وهذه الوحدة العضوية إن دلت على شيء فإنها تدل على صدق الشاعر وإيمانه بما يقول، وإخلاصه للدين وللرسول ﷺ، ولا بدع أن يكون كعب بهذه القصيدة مصداقاً لقول إمام المتقين أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا استخلص الله عبداً ألهمه الديانة»^(١)، إذ لا يوجد شعر صادق رفيع المستوى يثير انتباه السامعين دون أن يكون هناك إلهام يوقد شعرة الشاعر ويخصب قريحته. توفي كعب بن زهير سنة (٢٦٦هـ/٦٤٥م).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

أَيْنَ يَا أَبَا لَيْلَى؟

روي أن النابغة الجعدي^(١) كان ممن فكر في الخلق أيام الجاهلية وأنكر الخمر والسكر، وهجر الأزلام، واجتنب الأوثان، وقال في الجاهلية كلمته التي أولها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقْلُهَا لِنَفْسِهِ ظَلَمًا

وكان يقفو أثر دين إبراهيم الخليل عليه السلام والحنيفية، ويصوم ويستغفر، ولما بُعث النبي ﷺ وفد عليه، وأنشده قصيدته التي كان مطلعها:

خَلِيلِي غُضًّا سَاعَةً وَتَهَجْرًا

وَلَوْ مَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرًا

فلما وصل إلى قوله:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ فِي مَجْدِنَا وَسَنَائِنَا

وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

(١) النابغة الجعدي هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، كان سيداً في قومه، قدم على الرسول ﷺ سنة (٩هـ) وأنشده شعراً فاعجب به الرسول ﷺ، ثم شهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة، وهو شاعر مخضرم مطبوع فصيح يجري في شعره على السليقة، وإنما سمي (النابغة) لأنه أقام مدة لا يقول الشعر، ثم نبغ، فقيل له: (النابغة)، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، وهو أسن من النابغة الذبياني، وقارب عمره مائة وثمانين سنة.

اتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى
وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَيْرًا

فقال له رسول الله ﷺ: «أين يا أبا ليلى؟» قال: إلى الجنة،
قال ﷺ: «أجل، إن شاء الله تعالى»، فلما فرغ من إنشادها،
قال له النبي ﷺ: «أجدت لا يفيض الله فاك» مرتين^(١).

قيل: فلقد رئي وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها، وما انفض
من فمه سن ولا انفلت، وأن أسنانه لكالبرد المنهل.
وفي رواية نصر بن عاصم الليثي: أنه أنشد النبي ﷺ من
القصيدة قوله:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدِّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا أوردَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال له النبي ﷺ: «صدقت، لا يفيض الله فاك»، فمكث
بعد ذلك، كلما سقط له سن عادت أخرى بدلاً عنها^(٢).
وروي: أن النابغة دخل على الإمامين الحسن والحسين ابني
الإمام علي عليه السلام فقالا له: «أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى»
فأنشدهما:

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٤٧ ح ١٤٠.

(٢) راجع كتاب الغيبة للطوسي: ص ١١٩.

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ
 مَنْ لَمْ يَقْلُهَا لِنَفْسِهِ ظَلَمًا
 الْمَوْلِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَفِي
 النَّهَارِ لَيْلًا يُفْرِجُ الظُّلُمَا
 الْخَافِضُ الرَّافِعُ السَّمَاءَ عَلَى الْـ
 أَرْضٍ وَلَمْ يَبْنِ تَحْتَهَا دَعَمًا
 ثُمَّ عِظَامًا أَقَامَهَا عَصَبًا
 ثُمَّةً لَحْمًا كَسَاهُ فَالْتَحَمًا
 مِنْ نُطْفَةٍ قَدَرَهَا مُقَدَّرَهَا
 يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِنْسَانَ وَالنَّسَمَا
 وَاللَّوْنَ وَالصَّوْتَ وَالْمَعَايِشَ وَالـ
 أَرْزَاقَ شَتَّى وَفَرَّقَ الْكَلِمَا
 ثُمَّةً لَا بُدَّ أَنْ سَيَجْمَعُكُمْ
 وَاللَّهُ جَاهِدًا شَهَادَةً قَسَمًا
 فَاتَّبِعُوا الْآنَ مَا بَدَأَ لَكُمْ
 وَاعْتَصِمُوا مَا وَجَدْتُمْ عَصَمًا
 فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلَا
 عِصْمَةَ مِنْهُ إِلَّا لِمَنْ عَصَمَا

وهي قصيدة طويلة اقتطفنا منها ما يصف فيه التوحيد والإقرار

بالبعث والجزاء والجنة والنار.

فقال الحسنان عليه السلام : «يا أبا ليلى ! كنا نروي هذا الشعر لأمية بن أبي الصلت».

فقال : يا ابني رسول الله ! إني لصاحب هذا الشعر ، وأول من قاله ، وإن السروق من سرق شعر أمية^(١).

وهو القائل :

قَدْ عَلِمَ الْمَصْرَانِ وَالْعِرَاقُ
أَنْ عَلِيًّا فَحُلُّهَا الْعَتَاقُ
أَبْيَضُ جَحْجَاحٌ لَهُ رَوَاقُ
وَأُمُّهُ غَالِي بِهَا الصَّدَاقُ
اَكْرَمُ مَنْ شُدَّ بِهِ نَطَاقُ
إِنَّ الْأُلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
لَهُمْ سِبَاقٌ وَلَكُمْ سِيبَاقُ
قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَمُ الرِّفَاقُ
سُقْتُمْ إِلَى نَهْجِ الْهَدَى وَسَاقُوا
إِلَى التِّي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ
فِي مِلَّةٍ عَادَتْهَا النِّفَاقُ^(٢)

وذكر أبو نعيم في (تاريخ أصفهان) وابن قتيبة : أن معاوية كان

(١) راجع الدرجات الرفيعة : ص ٥٣٣.

(٢) راجع بحار الأنوار : ج ٢٢ ص ١١٥ ح ٨٧.

أخرج النابغة إلى أصفهان ، وكانت وفاته فيها سنة (٦٥ هـ) بعد أن كُف بصره .

ومن خلال القراءة المتمنعة لكثير من الشعر الجاهلي يعرف الإنسان أن الشاعر الجاهلي كان يتوخى في شعره الفخر بأمجاده وأمجاد آبائه ويبعد الصيت ونباهة الذكر واجتراح المآثر ، وكان يرى خلوده الشخصي في الذكر فقط ، ولكن هذا كله تغير بمجيء نور الإسلام ، فأصبح الشاعر الملتزم بالصدق يتوخى الخلود الأخروي ، نابذا وراء ظهره كل مفاخر الدنيا ومظاهرها ، ومبتعداً عن الملق والنفاق ، ولذلك نرى موهبته تتفتق بالصدق والإخلاص . وتاريخ هذا النابغة مصداق واضح جلبي لما أصبح عليه الشعراء بعد أن تنوروا بنور الإسلام ، فهو يروي لنا مدى إخلاص سريرته حتى انعكس ذلك شعراً صادقاً فياضاً قاده إلى الخلود والتوفيق ، فكان مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام : «أخلص لله عملك ، وعلمك ، وحبك ، وبغضك ، وأخذك ، وتركك ، وكلامك ، وصمتك»^(١) .

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٧ ح ٣٩٠٠ .

شغله القرآن الكريم عن الشعر

كان لبيد العامري^(١) من شعراء العرب المخضرمين الذين قضوا شطراً من حياتهم في الجاهلية وأدركوا الإسلام، وعاش عزيزاً مكرماً في العهدين.

ففي السنة الرابعة للهجرة النبوية الشريفة، كان قد جاء مع قومه إلى رسول الله ﷺ وتشرف باعتناق الإسلام.

إن الجانب المهم من حياة لبيد كان في الإسلام، وفي جمادى الآخرة سنة (٨هـ) وفد على الرسول ﷺ جماعة من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأريد أخو لبيد، ولكن الله لم يشرح صدور هؤلاء للإسلام، أما لبيد فأسلم وهاجر وسكن في المدينة، ولكن إسلام لبيد لم يحسن أول الأمر، فقد عدّه مؤرخو الإسلام من المؤلفين قلوبهم.

وكان لبيد يتلو آيات من القرآن الكريم، فأشغلته الحكم

(١) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، ولد بين عام (٥٤٠ و ٥٤٥ م)، انتقل إلى الكوفة سنة (١٤هـ/٦٣٥م) وفيها توفي سنة (٣٥-٣٨هـ/٦٦٥-٦٦٩م) في أواخر حكومة عثمان بن عفان، وكان من شعراء الجاهلية الأشراف المجيدين ومن أصحاب المعلقات بإجماع الرواة فقد عدّ في أصحاب المعلقات السبع، وكان لبيد في الجاهلية خير شاعر لقومه، وشعره فخم شريف المعاني يدور أكثره على الحماسة والفخر والمديح والثناء والوصف، وله معلقة بدوية الخصائص.

والمواعظ والبلاغة في ذلك الكتاب السماوي عن إنشاد الشعر،
وصرفته عنه.

وكان للبيد من الأشعار الحكيمة الشيء الكثير، حتى عدّ
من أشعر شعراء العرب، وبعض أشعاره كانت معلقة على
جدران الكعبة.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أصدق كلمة قالتها
العرب كلمة لبيد»:

الَا كُلُّ شَيْءٍ مَّا سِوَى اللَّهِ بَاطِلٌ
وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ^(١)

وله يعد سنين عمره:

قَامَتْ تَشْكَى إِلَى النَّفْسِ مَجْهَشَةً
وَقَدْ حَمَلَتْكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ
فَإِنْ تَزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا
وَفِي الثَّلَاثِ وَقَاءٌ لِلثَّمَانِينَ

هذا وقد توفي لبيد في فترة إمارة معاوية على الشام في زمن
عثمان عن عمر ناهز (١٥٠) سنة.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٩٥.

أوتي من الأجر مرتين

يروى عن سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خير فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع^(١): ألا تسمعنا من هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً فجعل يقول:

لَاهُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا اقْتَتَيْنَا وَثُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا
وَأَنْزَلْنُ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنْأَا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبِالصِّيَاحِ عَوَّيْنَا

فقال له رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»، قالوا: عامر، قال ﷺ: «يرحمه الله»، قال رجل وهو على جمل: وجبت يا رسول الله لولا أمتعتنا به، وذلك أن رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه إلا استشهد، قالوا فلما جد الحرب وتصاف القوم خرج يهودي وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أُنْثَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مَجْرِبِ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَبُ

فبرز إليه عامر وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أُنْثَى عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مَغَامِرُ

(١) وهو من الشعراء العرب المسلمين، عاصر الرسول ﷺ وعرف بإخلاصه وقوة إيمانه.

فاختلفا ضربتين فوق سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه ، قال سلمة : فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطل عمل عامر قتل نفسه ، قال : فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقلت : قالوا إن عامراً بطل عمله ، فقال ﷺ : « من قال ذلك ؟ » فقلت : نفر من أصحابك ، فقال ﷺ : « كذب أولئك بل أوتي من الأجر مرتين »^(١).

هذه قصة شاعر دخل الإيمان قلبه ، فلم يعد يرى أن الشعر وحده حياته كلها ، بل أراد بعد الانطواء تحت جناح الإسلام أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فكرس حياته الثمينة الغامرة لما هو أثنى وأعلى شأنًا من الشعر ، فالشعر - بأي حال من الأحوال - يضمن له فخراً مؤقتاً وسعادة زائلة بزوال الأيام ، بينما يضمن له الإيمان خلوداً وسعادة أبدية لا تفسى ولا تنقضي أيامها ، حمل الرمح والسيف ليجاهد بين يدي رسول الله ﷺ وليستشهد ضامناً لنفسه أن يكون من السعداء .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « فاز بالسعادة من أخلص العبادة »^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار : ج ٢١ ص ٢ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ الح ٣٩٠٩ .

اللهم حوالينا لا علينا

روي: أن أعرابياً أقبل إلى رسول الله ﷺ في عام جدب وقحط، فقال: أتيناك يا رسول الله! ولم يبق لنا صبي يرتضع، ولا شارف يجتر، ثم أنشد يقول:

أَتَيْنَاكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
لِتَرْحَمَنَا مِمَّا لَقِينَا مِنَ الْأَزْلِ
أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْمَى لِبَانِهَا
وَقَدْ شَغَلَتْ أُمُّ الرُّضِيعِ عَنِ الطُّفْلِ
وَأَلْقَى بِكَفِّهِ الْفَتَى اسْتِكَانَةً
مِنَ الْجُوعِ حَتَّى مَا يُمِرُّ وَلَا يُحْلِي
وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا
سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِي وَالْعُلْهَزِ الْفَسَلِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا
وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسُلِ

فقام النبي ﷺ يجرُّ رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «اللهم! اسقنا غيثاً مغنياً مريئاً هنيئاً مريعاً سجالاً غداً طبقاً دائماً درراً، تحيي به الأرض، وتنبث به الزرع، وتدر به

الضرع، واجعله سقياً نافعاً عاجلاً غير رايت».

قال الراوي: فو الله، ما رد رسول الله ﷺ يده إلى نحره حتى ألفت السماء أرواقها (أي أمطارها)، وجاء الناس يضحجون، الفرق الفرق يا رسول الله!.

فقال ﷺ: «اللهم! حوالينا لا علينا».

فتنحى المطر عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لله درّ أبي طالب لو كان حياً لقرّت عينه، من ينشدنا قوله؟»

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا رسول الله! لعلك أردت وأبيض يستسقي الغمام بوجهه»، فقال ﷺ: «أجل».

فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة، ورسول الله ﷺ يستغفر لأبي طالب عليه السلام على المنبر.

ثم قام رجل من قبيلة كنانة فأنشده أبياتاً:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرَ

سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطْرُ

دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعَاوَةً

إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرُ

فَإِنْ كَانَ إِلَّا كَمَا سَاعَةِ

أَوْ اقْصَرَ حَتَّى رَأَيْنَا الدَّرَرَ

دِفَاقُ الْعَزَالِي وَجَمُّ الْبَعَاقِ
 اغْثَاتُ بِهِ اللَّهُ عَلِيًّا مُضَرُّ
 فَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ
 أَبُو طَالِبٍ ذَا رُوءٍ غَزِرُ
 لَهُ يُسَّرُّ اللَّهُ صَوْبَ الْغَمَامِ
 فَهَذَا الْعَيَّانُ كَذَاكَ الْخَبَرُ
 فَمَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَلْقَ الْمَزِيدَ
 وَمَنْ يَكْفُرُ اللَّهَ يَلْقَ الْغَيْرَ
 فقال رسول الله ﷺ رداً عليه: «إن يكن شاعر يحسن فقد
 أحسنت، بوأك الله يا كناني بكل بيت قلته بيتاً في الجنة»^(١).

(١) راجع مستدرک الوسائل: ج ٦ ص ١٩٣ ح ٦٧٤٤٤.

اعذرنا يا أبا فراس؟

روي عن معاوية عبد الكريم عن أبيه قال: دخلت على الفرزدق^(١) فتحرك فإذا في رجله قيد، قلت: ما هذا يا أبا فراس؟ قال: حلفت أن لا أخرجه من رجلي حتى أحفظ القرآن^(٢). وقال الفرزدق: لقيني الإمام الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة.

فقال: «ما وراءك يا أبا فراس»؟

قلت: أصدقك؟

قال عليه السلام: «الصدق أريد».

قلت: أما القلوب فمعك، وأما السيوف فمع بني أمية، والنصر من عند الله.

قال عليه السلام: «ما أراك إلا صدقت، الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت به معاشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»^(٣).

(١) هو غالب بن همام، كان أبوه من سراة قومه ومن أجلتهم وسيد بادية تميم وله مناقب مشهورة ومحامد ماثورة، أما جده صمصعة بن ناجية فقد عدّه علماء رجال العامة من الصحابة، وقالوا: كان من أشرف بني تميم ووجوه بني مجاشع، توفي الفرزدق سنة (١١٠هـ).

(٢) راجع مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ١٥٩ ح ١٩٤٦٥.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٨٣.

أما قصة إنشاده القصيدة الغراء المعروفة بين الفريقين في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فهي :

إن هشام بن عبد الملك حجّ، وطاف بالبيت، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر، فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأطاف به أهل الشام، فبينما هو كذلك، إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة، وبين عينيه سيماء الصالحين من أثر السجود كأنه ركبة البعير، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ إلى موضع الحجر، تنحى الناس عنه حتى يستلمه، هيبةً له وإجلالاً، فأغاظ ذلك هشاماً وأوغر الموقف صدره.

فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة، وأفرجوا له الطريق عند الحجر؟

فقال هشام: لا أعرفه! لئلا يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق - وكان حاضراً -: لكني أعرفه.

فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟

فقال الفرزدق:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَالِدُهُ
أَمَسَتْ بِنُورِ هُدَاهُ تَهْتَدِي الْأُمَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا:
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَنْمِي إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُورَتْ
عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ
رُكْنَ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَلِّمُ
يَنْشَقُّ نُورُ الْهُدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ
بِكَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهُ عَبَقُ
مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
طَابَتْ عَنَّا صِرَّةُ وَالْخَيْمُ وَالشَّيْمُ
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدِ
لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خَتَمُوا

اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدِيمًا وَشَرَّفَهُ
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 مَنْ جَدَّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهَا الْأُمَمُ
 عَمَّ الْبَرِّيَّةُ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 عَنْهَا الْعِمَائَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظَّلَمُ
 كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 تَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بِوَادِرِهِ
 تَزِينُهُ خُصَلَتَانِ: الْخَلْقُ وَالْكَرَمُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيِّمُونَ نَقِيبَتُهُ
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
 مِنْ مَعْشَرِ حُبُّهُمْ دِينَ وَيَغْضُؤُهُمْ
 كُفْرٌ وَقَرِيبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمُ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءُ وَالْبَلَاوَى بِحُبُّهُمْ
 وَيُسْتَرَادُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 فِي كُلِّ بَدءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ
 إِنَّ عُدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
 أَوْ قِيلَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ؟ قِيلَ: هُمْ

لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

والقصيدة طويلة وما ذكرنا إلا مقتطفات منها، قال الراوي:
فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق، فسجن بعسفان بين مكة
والمدينة، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه باثني عشر
ألف درهم، وقال عليه السلام: «أعذرنا يا أبا فراس! فلو كان عندنا أكثر
من هذا لوصلناك به».

فردها وقال: يا بن رسول الله! ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله
ولرسوله، وما كنت لأطمع عليه شيئاً، فردها وقال عليه السلام: «بحقي
عليك لما قبلتها، فلقد رأى الله مكانك وعلم نيتك».

وفي رواية، قال عليه السلام: «شكر الله لك، غير أنا أهل بيت إذا
أنفدنا أمراً لم نعد فيه»، فقبلها، فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو
في سجنه، وكان فيما هجاه به قوله:

أَتَحْبِسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْتِي
إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ تَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَلِّبُ رَأْساً لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ
وَعَيْنَا لَهُ حَوْلَاءُ بَانَ عِيُوبُهَا

ولما حبس هشام بن عبد الملك الفرزدق أمر بمحو اسمه من
الديوان وحبس عنه العطاء، وتوعده بالقتل، شكا ذلك إلى علي
بن الحسين عليه السلام فدعاه، فخلّصه الله ثم جاء إليه، وقال:

يا بن رسول الله ! إن هشام بن عبد الملك حذف اسمي من الديوان ، فقال عليه السلام : «كم كان عطاؤك» ؟ قال : كذا ، فقدم له عطاءً لأربعين سنة ، وقال له عليه السلام : «لو علمت أنك تحتاج إلى أكثر من هذا أعطيناك» .

فمات الفرزدق بعد أن مضت أربعون سنة ، وهذا من جملة كرامات الإمام زين العابدين عليه السلام ، كما أن من جملة كراماته إنقاذ الفرزدق من كيد هشام مع كل ما بدر منه إليه من سوء الكلام^(١) .
وخلاصة القول وصفوة الكلام أن هذه قصة شاعر مع طاغية من طواغيت بني أمية ، وجبار من جبابرتها ، لا تواجهه الكثرة الكاثرة باعتراض أو تنديد ، لأن الاعتراض عليه يكلفها ثمناً فادحاً عصياً الدفع ، لكن لا بد من قلة طاهرة أبيّة وسط تلك الكثرة الضالة المغرر بها ، وهذه القلة هي التي تمتلك قوة الدحض لحكم الجبابرة على صعيد القول والسلوك والثورة ، لأن هذه القلة تحصنت بمبادئ الإسلام وقيمه النبيلة الرفيعة ، بحيث لم تعد تبالي بسياط الطاغية وسيفه وسجنه .

إن إيمان الفرزدق الصلب جعله يكون واحداً من هذه القلة ، فطرح الرعب خلف ظهره ، ولم يخف إلا من الرب جل وعلا ،

(١) راجع وسائل الشيعة : ج ٢٠ ص ٢٩٢ ح ٩٠٢ .

فكان مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه»^(١).

والفرزدق بما أقدم عليه توخى الرفعة في السلوك، والإخلاص بالعمل، والصدق بالقول، بغض النظر عن ما قد يؤدي هذا الإقدام إليه من سجن وقطع رزق أو حتى قطع عنق.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٩ ح ٣٩٤٥.

الشهادة ببركة دعاء الإمام علي عليه السلام

قيل : إن الكميث^(١) دخل يوماً على أبي جعفر الباقر عليه السلام ،
وهو يقول :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَامِتٌ أَوْ حَاسِدٌ
فأنشده الكميث بداهة فقال :

وَبَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْبَسِيطَةِ وَاحِدٌ
فَهُوَ الْمَرَادُ وَأَنْتَ ذَاكَ الْوَاحِدُ

(١) أبو المستهل الكميث بن زيد بن خنيس بن مجالد الأسدي الكوفي ، كان من أكابر الشعراء ، وأماجد البلغاء ، معدوداً من سفراء مولانا الباقر عليه السلام ، وخاصته ، مذكوراً بكل خير عند الطائفة ، كان ذا ولاء كبير لأهل البيت عليه السلام ، ولد في سنة (٦٠) وهي سنة شهادة الإمام السبط الشهيد عليه السلام ، وما جمع أحد من العرب من مناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميث ، فمن صحح الكميث نسبه صح ، ومن طعن فيه وهن ، وكانت في الكميث عشر خصال لم تكن في شاعر قبله : كان خطيب أسد ، وفقه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وثابت الجنان ، وكان كاتباً حسن الخط ، وكان نساباً وكان جدلاً ، وهو أول من ناظرني التشيع ، وكان رامياً ماهراً ، لم يكن في أسد أرمى منه ، وكان فارساً وشجاعاً ، وكان سخياً ديناً ، استشهد في الكوفة في عهد مروان سنة (١٢٦هـ) .

وروي عنه أنه قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فقال :
«أنشدني قصيدتك العينية» ، فأنشدته حتى انتهيت إلى قلبي :

وَيَوْمَ الدَّوْحِ دَوْحَ غَدِيرِ خُمٍّ
إِبَانُ لَهُ الْوَصِيَّةَ لَوْ أُطِيعَا
وَلَكِنَّ الرُّجَالَ تَبَايَعُوهُمَا
فَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا أَمْراً شَنِيعاً

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام في طيفه :

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمًا
وَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ حَقًّا أَضْيَعًا^(١)

وذكر عن عقبة بن بشير الأسدي : أن كميثاً قال : دخلت على
أبي جعفر عليه السلام فقال : «والله ، يا كميث ! لو كان عندنا مال
لأعطيناك منه ، ولكن لك ما قال رسول الله ﷺ لحسان : لن يزال
معك روح القدس ما ذبيت عنا»^(٢).

وعن يونس بن يعقوب قال : أنشد الكميث أبا عبد الله
الصادق عليه السلام شعراً فقال :

اخْلَصَ اللَّهُ لِي هَوَايَ فَمَا أُغْرِ
قُ نَزْعاً وَلَا تَطْيِيشُ سِهَامِي

فرد عليه الإمام الصادق عليه السلام : «لا تقل هكذا (فما أغرق

(١) راجع الدرجات الرفيعة : ص ٥٧٩.

(٢) الكافي : ج ٨ ص ١٠٢ ح ٧٥.

نزعاً)، ولكن قل: فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامى»، فقال الكميّ: يا مولاي! أنت أشعر مني.

والمعنى: أخلص الله لي هواي أي جعل الله محبتي خالصة لكم فصار تأييده تعالى سبباً لأن لا أخطئ الهدف وأصيب كل ما أريده من مدحكم وإن لم أبالغ فيه، يقال: أغرق النازع في القوس إذا استوفى مدّها، ثم استعير لكل من بالغ في شيء، ويقال: طاش السهم عن الهدف أي عدل، وإنما غير عنه شعره لإيهامه بتقصير وعدم اعتناء في مدحهم أو لأن الإغراق في النزع لا دخل له في إصابة الهدف بل الأمر بالعكس مع أن فيما ذكره معنى لطيفاً كاملاً، وهو أن المداحين إذا بالغوا في مدح ممدوحهم خرجوا عن الحق وكذبوا فيما يثبتون له، كما أن الرامي إذا أغرق نزعاً أخطأ الهدف، وإنني كلما بالغت في مدحكم لا يعدل سهمي عن هدف الحق والصدق^(١).

وعن عبد الله بن مروان الحراني قال: كان معنا رجل من عباد الله الصالحين، وكان راوية لشعر الكميّ - يعني الهاشميات - بعد سماعها منه، وكان عالماً بتركه خمساً وعشرين سنة لا يستحل روايته وإنشاده، ثم عاد فيه، فقليل له: ألم تكن زهدت في شعره وبادرت إلى تركه؟

(١) راجع الكافي: ج ٨ ص ٢١٥ ح ٢٦٢.

فقال : نعم ، ولكنني رأيت رؤيا دعنتني إلى العود فيه .

ف قيل له : وما رأيت ؟

قال : رأيت كأن القيامة قد قامت ، وكأنا أنا في المحشر ،
فدفعت إليّ مجلة .

قلت للشيخ : وما المجلة ؟

قال : الصحيفة .

قال : فنشرتها ، فإذا فيها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، أسماء
من يدخل الجنة من محبي علي بن أبي طالب عليه السلام) .

قال : فنظرت في السطر الأول ، فإذا أسماء قوم لم أعرفهم ،
ونظرت في السطر الثاني ، فإذا هو كذلك ، ونظرت في السطر
الثالث والرابع ، فإذا فيه : الكميث بن زيد الأسدي ، قال : فذلك
الذي دعاني إلى العود لرواية أشعاره ^(١) .

وقال السيوطي في (شرح الشواهد) عند مروره إلى قوله :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرِبُ

وَلَا نَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

هذا مطلع قصيدة للكميث يمدح بها أهل البيت عليهم السلام ويليهِ :

وَلَمْ تُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلُ

وَلَمْ يَتَطَرَّنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

(١) راجع بحار الأنوار : ج ٤٧ ص ٣٢٥ ح ٢١ .

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ
 أَصَاحَ غُرَابٍ أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبُ
 وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةُ
 أَمْ رَسُولُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ غَضَبُ
 وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى
 وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَّبُ
 إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ
 إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي اتَّقَرُّبُ
 بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ
 بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ

ومنها:

فَمَا لِي إِلَّا آلُ أَحْمَدَ شَيْعَةً
 وَمَا لِي إِلَّا مَذْهَبُ الْحَقِّ مَذْهَبُ
 بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
 تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبُ
 وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً
 تَأْوَلُّهَا مِنَّا نَقِيٌّ وَمُعَرِّبُ
 عَلَى أَيِّ جُرْمٍ أَمْ بِأَيَّةِ سِيرَةٍ
 أَعْنَفُ فِي تَقْرِيطِهِمْ وَأُكْذِبُ

ومنها:

لَمْ تَرَبِّي مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ
 أَرْحُ وَأَغْدُو خَائِفًا أَتَرَقَّبُ
 فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَرْتَنِي بِحُبِّهِمْ
 وَطَائِفَةٌ قَالَتْ: مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ^(١)

وللكميت قصائد عديدة في مدح أهل بيت النبوة ومعدن
 الرسالة، والدفاع عن عقيدة التشيع، ومنها قصيدته الميمية،
 التي مطلعها:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُسْتَهَامٍ
 غَيْرَ مَا صَبَوَةٍ وَلَا أَحْلَامٍ

يقول صاعد ـ غلام الكميت ـ: تشرفنا أنا والكميت بالوصول
 إلى خدمة أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، فأنشد الكميت
 هذه القصيدة بحضرة الإمام الباقر عليه السلام، فقال الإمام عليه السلام:
 «اللهم! اغفر للكميت ثلاث مرات»، ثم قال عليه السلام: «يا كميت!
 هذه مائة ألف درهم من أهل بيتي جئت بها إليك صلة»، فلم
 يقبلها الكميت، وقال: والله، ما أردت بها إلا التقرب إلى الله
 بحبكم، وإن كان كذلك فأنا أطلب قطعة من ثيابكم أترك بها،
 فنأوله الإمام عليه السلام طلبه^(٢).

روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) بإسناده إلى
 إبراهيم بن سعد السعدي، قال: سمعت أبي يقول: رأيت في

(١) راجع القصيدة كاملة في الدرجات الرفيعة: ص ٥٦٤ وما بعدها.

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٣٢٩.

منامي النبي ﷺ .

فقال ﷺ لي : «من أي الناس أنت» ؟

قلت : يا رسول الله ! من العرب .

قال ﷺ : «أعلم أنك من العرب ، ولكن من أي العرب» ؟

قلت : من بني أسد .

قال ﷺ : «من قبيلة بني خزيمة» ؟

قلت : نعم .

قال ﷺ : «أهلالي أنت» ؟

قلت : نعم .

قال ﷺ : «أتعرف كميتاً» ؟

قلت : بلى يا رسول الله ! إنه عمي ومن قبيلتي .

فقال ﷺ : «هل تذكر له شعراً» ؟

قلت : نعم .

فقال ﷺ : «أنشدني» .

فأنشدته : (طربت وما شوقاً) فما بلغت إلى قوله : فما لي إلا

آل أحمد شيعه .

قال النبي ﷺ : «إذا أصبحت فأبلغ سلامي للكميت ، وقل

له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة» ^(١) .

(١) راجع خلاصة عبقات الأنوار : ج ٩ ص ٢٠١ .

عاش الكميّ عيشة مرضية سعيدة في دنياه حتى أتيحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام له ، بها ويعين الله ما أريق من دمه بالكوفة في عهد مروان الأموي سنة (١٢٦هـ)^(١) .

والشيء الملفت للنظر أن رسول الله ﷺ والإمام السجاد ، والإمام الباقر ، والإمام الصادق عليهم السلام كانوا يدعون للكميت ، لأن شعره لم يكن لنوال الدنيا وزخرفها ، فكثيراً ما كان يرفض الصلوات وهدايا الأئمة عليهم السلام ، ويكتفي منهم بأشياء بسيطة أو قطع من ثيابهم للتبرك . وهذا دليل عظيم على صدق إخلاص الكميّ وولائه المطلق لأهل البيت عليهم السلام دون أي رغبة في متاع الدنيا ، عملاً منه بقول أمير المؤمنين عليه السلام : «من أخلص النية تنزه عن الدنيا»^(٢) .

(١) راجع أصحاب الإمام الصادق عليه السلام لعبد الحسين الشبستري : ج ٢ ص ٦١٩ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩١٦ .

والله لقد شهدك الملائكة المقربون

كان جعفر بن عثمان الطائي ، المكنى بأبي عبد الله من شعراء أهل البيت عليه السلام من الطراز الأول.

عن زيد الشحام في حديث أن أبا عبد الله عليه السلام قال للطائي : «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتجيد».

قال : نعم ، فأنشده فبكى ومن حوله حتى سالت الدموع على وجهه ولحيته.

ثم قال عليه السلام : «يا جعفر والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها وغفر لك».

ثم قال عليه السلام : «ألا أزيدك؟»

قال : نعم يا سيدي.

فقال عليه السلام : «ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعراً ، فبكى وأبكى به ، إلا أوجب الله له الجنة وغفر له»^(١).

ومن أشعاره :

(١) راجع بحار الأنوار : ج ٤٧ ص ٣١٤ ح ٦.

أَلَا يَا عَيْنَ فَاكِئِ أَلْفَ عَامٍ
 وَزَيْدِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى الْمَزِيدِ
 إِذَا ذُكِرَ الْحَسَنُ فَلَا تَمَلِّي
 وَجُودِي الدَّهْرَ بِالْعَبْرَاتِ جُودِي
 فَقَدْ بَكَتِ الْحَمَائِمُ مِنْ شَجَاهَا
 بَكَتِ لِأَلْيَفِهَا الْفَرْدُ الْوَحِيدُ
 بَكِيْنٌ وَمَا دَرِيْنٌ وَأَنْتَ تَدْرِي
 فَكَيْفَ تَهْمُ عَيْنُكَ بِالْجُمُودِ
 أَتَنْسَى سَبْطَ أَحْمَدَ حِينَ يَمْسِي
 وَيُمْصِحُ بَيْنَ أَطْبَاقِ الصَّعِيدِ؟

إنه على دين الله

روي أن الإمام الصادق عليه السلام أوصى شيعته مرة فقال: «عَلِّمُوا
أولادكم شعر العبدى^(١)، فإنه على دين الله»^(٢).

ومن شعره:

| | |
|---------------------------------|---|
| أَهْلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ | أَهْلُ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ |
| الْمُرْشِدُونَ مِنَ الْعَمَى | الْمُنْقِذُونَ مِنَ اللَّوَاظِبِ |
| الصَّادِقُونَ النَّاطِقُونَ | نَ السَّابِقُونَ إِلَى الرِّغَائِبِ |
| فَوَلَاهُمْ فَرَضٌ مِنَ الرَّ | حَمَنِ فِي الْقُرْآنِ وَاجِبٌ |
| وَهُمُ الصِّرَاطُ فَمُسْتَقِيمٌ | فَوْقَهُ نَاجٍ وَنَاكِبٌ ^(٣) |

وله أيضاً:

وَقَالُوا: رَسُولُ اللَّهِ مَا اخْتَارَ بَعْدَهُ
إِمَاماً وَلَكِنَّا لَأَنْفُسِنَا اخْتَرْنَا

(١) هو أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الكوفي، من أصحاب الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، ومن شعراء أهل البيت عليهم السلام الطاهرين، المتزلفين إليهم بالولاء، وقد ضُمِّنَ شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشهيرة، ولد سنة (١٠٥هـ) وتوفي سنة (١٧٨هـ).

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٦ ص ٢٩٣ ح ١٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣ ص ٢٢٥.

أَقَمْنَا إِمَاماً إِنْ أَقَامَ عَلَى الْهَدَى
 أَطَعْنَا وَإِنْ ضَلَّ الْهَدَايَةَ قَوْمَنَا
 فَقُلْنَا: إِذَنْ أَنْتُمْ إِمَامٌ إِمَامِكُمْ
 بِحَمْدٍ مِنَ الرَّحْمَنِ تَهْتُمُ وَلَا تَهْنَأُ
 وَلَكِنَّا اخْتَرْنَا الَّذِي اخْتَارَ رَبُّنَا
 نَنَا يَوْمَ خُمٍّ مَا اعْتَدَيْنَا وَلَا حُلْنَا
 سَيَجْمَعُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبُّنَا
 فَتَجْزُونَ مَا قُلْتُمْ وَنُجْزِي الَّذِي قُلْنَا
 هَدَمْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ قَوَاعِدَ دِينِكُمْ
 وَدِينٌ عَلَى غَيْرِ الْقَوَاعِدِ لَا يُبْنَى
 وَنَحْنُ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ وَاضِحٌ
 فَيَا رَبَّ زِدْنَا مِنْكَ نُوراً وَثَبِّتْنَا ^(١)

ولو لم يكن (العبدى) مخلصاً في كل أقواله وأفعاله لما أوصى الإمام الصادق عليه السلام شيعته بتعلم شعره.

فإن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من لم يصحب الإخلاص عمله لم يقبل» ^(٢).

(١) المناظرات في الإمامة للشيخ عبد الله الحسن: ص ٢٧٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٦.

وإذا اطلعنا على شعر هذا الرجل المخلص ، أدركنا سرَّ وصية الإمام الصادق عليه السلام به ، فإن شعره محبة خالصة وانتماء صادق لأهل البيت عليه السلام ، حتى كأن قضية أهل البيت عليه السلام هي قضيته الأولى والأخيرة ، فهو ينبري بوازع ذاتي وقناعة شخصية للذود عنهم ، في سلوكه ، وفي لسانه ، مثبتاً حقهم المضيّع ، آتياً بالحجج البينة والأدلة الساطعة على إمامة أهل البيت عليه السلام ، لا لأنه يطمح إلى نيل جائزة منهم ، وإنما لأنه يرى فيهم أئمة هداة ، من تمسك بحبلهم نجا ومن أفلته هلك .

أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ

قيل: إن والدَي السيد الحميري^(١) كانا إباضيين^(٢) من النواصب المعاندين، لذا أنكر عليهما السيد في بعض أشعاره، بل يستفاد من الأخبار أنهما سعيًا به إلى سلطان وقته أيضاً، فُنَجِّيَ من كيدهما بفضل دعوة مولانا الصادق عليه السلام.

وكان يسأل منه: إنك مع انتسابك إلى حمير، الذين هم من أنصار معاوية، وكونك من أهل الشام، كيف اعتنقت مذهب التشيع؟! فيخبرهم بقوله: صبت علي الرحمة صباً، كما صبت على مؤمن آل فرعون، وفي هذا يقول:

(١) أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة، الملقب بالسيد الحميري، هو من كبار شعراء العرب، وكان متميزاً في نظم الشعر وكتابة الأدب، فلم يعرف غيره في الإحاطة بفنون الأشعار، والمهارة في رواية القصص والأخبار، بحيث نقل أن نصوص شعره المقتفى بحرف الميم كانت حمل بعير، وكان إذا سئل عنها المكاري وهو أحد الشعراء المشهورين، يقول: هي (ميميات السيد) على سبيل التعظيم لشأنه، إلى أن جعلت هذه اللفظة علماً له، فلا يشتبه به أنه من قريش أو بني هاشم، فضلاً عن أن الأخص منهما موصوف بالشرف أو السيادة في عرف المتأخرين.

(٢) الإباضية: بكسر الهمزة هم أصحاب عبد الله بن إباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، وكفروا علناً أمير المؤمنين عليه السلام وأكثر الصحابة، وزعموا أن مخالفهم في زعمهم هذا كافر.

إِنِّي امْرُؤٌ حَمِيرِي حِينَ تَنْسُبُنِي
جَدِّي رَعِيْنٌ وَأَخُوَالِي ذَوُو يَزْنٍ
ثُمَّ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النِّجَاةَ بِهِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِادِي أَبِي الْحَسَنِ
وقيل: بل هذا اللقب من أعلامه الابتدائية، لما نقل عن
الصادق عليه السلام أنه لما التقى به أكرمه، وقال: «سمتك أمك سيداً،
ووفقت في ذلك، فأنت سيد الشعراء»!

فقال السيد افتخاراً بهذا الكلام منه عليه السلام:
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِقَائِلِي مَرَّةً
عَلَامَةً فَهُمْ مِنْ الضُّهَمَاءِ
سَمَّاكَ قَوْمُكَ سَيِّدًا صَدَقُوا بِهِ
أَنْتَ الْمَوْفُوقُ سَيِّدُ الشُّعْرَاءِ
مَا أَنْتَ حِينَ تَخْصُ آلَ مُحَمَّدٍ
بِالْمَدْحِ مِنْكَ وَشَاعِرُ بِسَوَاءٍ
مُدْحِ الْمُلُوكِ ذَوُو الْغِنَى لِعَطَائِهِمْ
وَالْمَدْحِ مِنْكَ لَهُمْ لَغَيْرِ عَطَاءٍ
فَابْشِرَا فَإِنَّكَ فَائِزٌ مِنْ حُبِّهِمْ
لَوْ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ بِجَزَاءٍ
مَا يَعْدِلُ الدُّنْيَا جَمِيعاً كُلَّهَا
مِنْ حَوْضِ أَحْمَدَ شَرِيَّةٍ مِنْ مَاءٍ^(١)

(١) راجع الفدير: ج ٢ ص ٢٣١.

ثم إنه صار إلى مذهب الكيسانية ، القائل بإمامة محمد بن الحنفية ، إلى أن شاء الرحمن هدايته للإيمان ، وفي الحديث عن محمد بن النعمان أنه قال : دخلت عليه في مرضه بالكوفة ، فرأيتَه وقد اسودَّ وجهه وازرورت عيناه وعطش كبده ، فتوجهت إلى الإمام الصادق عليه السلام وهو يومئذ بالكوفة راجعاً من عند الخليفة ، فقلت له : جعلت فداك إني فارقت السيد إسماعيل بن محمد الحميري وهو على أسوأ حال.

فأمر بجواده وركب ومضينا معه حتى دخلنا عليه ، وكان عنده جماعة من الناس ملتفون حوله ومحدقون به ، فجلس الإمام الصادق عليه السلام عند رأسه ، فقال : «يا سيد» ! ففتح عينيه ينظر إليه وهو لا يطيق الكلام ، فحرك الصادق عليه السلام شفتيه ، ثم قال له : «يا سيد ! قل بالحق ، يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنته التي وعد أوليائه» ، فقال في ذلك :

تَجَعَّفَرْتُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ
وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَعْضُو وَيَغْضِرُ
وَدِنْتُ بِدِينِ غَيْرِ مَا كُنْتُ دَائِنًا
بِهِ، وَنَهَانِي سَيِّدُ النَّاسِ جَعَفَرُ
فَقُلْتُ: فَهَبْنِي! قَدْ تَهَوَّدْتُ بِرَهَّةٍ
وَالَا فَدِينِي دِينَ مَنْ يَتَنَصَّرُ
فَلَسْتُ بِعَادٍ مَا حَيَّيْتُ وَرَاجِعٍ
إِلَى مَا عَلَيْهِ كُنْتُ أَخْفِي وَأُضْمِرُ

وَلَا قَائِلًا قَوْلًا لِكَيْسَانَ بَعْدَهَا
وَأَنْ عَابَ جُهَالُ مَعَابٍ وَأَكْثَرُوا
وَلَكِنَّهُ مِمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ
عَلَى أَحْسَنِ الْحَالَاتِ يَقْضِي وَيُؤْتِرُ^(١)

وروى صاحب كتاب (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى)^(٢) عن
محمد بن جبلة، قال: اجتمع عندنا السيد إسماعيل بن محمد
الخميري وجعفر بن عفان الطائي، فقال له السيد: ويحك! كيف
تقول في آل محمد ﷺ:

مَا بَالُ بَيْتِكُمْ يُخْرَبُ سَقْفُهُ

وَتِيَابِكُمْ مِنْ أَرْدَلِ الْأَثْوَابِ؟

فقال جعفر بن عفان: لا أنكر ذلك، فقال له السيد: إذا لم
تحسن المدح فاسكت! أيوصف آل محمد ﷺ بمثل هذا؟! ولكني
أعذرك، هذا طبعك وعلمك وغاية معرفتك! وقد قلت ما أمحق
عنهم عار مدحك:

اقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ

وَالْمَرَّةُ عَمَّا قَالَ مَسْؤُولُ

(١) راجع الفصول المختارة للشيخ المفيد: ص ٢٩٩.

(٢) هو عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم علي الطبري، من علماء الإمامية في
القرن السادس، وكتابه (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى) في فضائل أهل
البيت ﷺ يقع في (٤٦٨) صفحة.

إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
 عَلَى التَّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُورٌ
 وَإِنَّهُ ذَاكَ الْإِمَامُ الَّذِي
 لَهُ عَلَى الْأُمَّةِ تَفْضِيلُ
 يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيُفْتِي بِهِ
 وَلَيْسَ تُلْهِيهُ الْأَبْطَالُ
 كَانَ إِذَا الْحَرْبُ مَرَّتْهَا الْقَنَا
 وَأَحْجَمَتْ عَنْهَا الْبَهَائِلُ
 يَمْشِي إِلَى الْقِرْنِ وَفِي كَفِّهِ
 أَبْيَضُ مَاضِي الْحَدِّ مَصْقُولُ
 مَشَى الْعَفْرَنَى بَيْنَ أَشْبَالِهِ
 أَبْرَزَهُ لِلْقَنْصِ الْغِيْلُ
 ذَاكَ الَّذِي سَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ
 عَلَيْهِ مِيكَالٌ وَجِبْرِيلُ
 مِيكَالٌ فِي الْفِ وَجِبْرِيلُ فِي
 الْفِ وَيَتْلُوهُمْ سَرَّافِيلُ
 لَيْلَةَ بَدْرٍ مَدَدَا أَنْزَلُوا
 كَانَتْهُمْ طَيْرُ أَبَابِيلُ
 فَسَلَّمُوا لِمَا آتَوْا حِذْوَهُ
 وَذَاكَ إِعْظَامُ وَتَبْجِيلُ

هكذا يقال فيهم يا جعفر! ومثل شعرك يقال لأهل الوهن والضعف ، فقبل جعفر رأسه وقال : أنت والله الرأس يا أبا هاشم ! ونحن الأذنان^(١).

أقول : وجعفر المذكور من أكابر شعراء أهل البيت عليه السلام ، وقد نقلت عنه مرث فاخترة فيهم ، وطلب الصادق عليه السلام منه إنشادها ، ومع هذا كله فانظر ما يقول هو في حق هذا الرجل الجليل .

وفي (محاضرات) الراغب الأصفهاني ، قال : قال السيد الحميري : رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه في حديقة سبخة ، فيها نخل طوال ويجنبها أرض كأنها كافورة ليس فيها أشجار ، فقال ﷺ : «أتدري لمن هذه النخيل» ؟ ! فقلت : لا ! فقال : «لامرئ القيس ، فاقلعها واغرسها في هذه» ، ففعلت .

فلما أصبحت أتيت ابن سيرين ، فقصصت رؤيائي عليه ، فقال : أتقول الشعر ، قلت : لا !

فقال : أما إنك ستقول مثل شعر امرئ القيس ، إلا أنك تقول في قوم أطهار ، فما انصرف إلا وأنا أقول الشعر . وأفضل أشعاره قصيدته المشهورة في التولي والتبري ، ومديح أهل البيت عليهم السلام التي أولها قوله :

(١) راجع الغدير : ج ٢ ص ٢٦٩ .

لَا مَ عَمْرٍو بِاللَّوَى مَرِيعُ
طَامِسَةً أَعْلَامُهُ بِلَقَعُ
قَائِدُهَا الْعَجَلُ وَفِرْعَوْنُهَا
وَسَامِرِيُّ الْأُمَّةِ الْمَفْظَعُ
وَمَخْدَعُ مَنْ دِينِهِ مَارِقُ
أَجْدَعُ عَبْدُ لُكْعُ أَوْكَعُ
وَرَايَةُ قَائِدُهَا وَجْهُهُ
كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إِذَا تَطْلَعُ
وَالنَّاسُ يَوْمَ الْبُعْثِ رَايَاتُهُمْ
خَمْسٌ فَمِنْهُمْ هَالِكٌ أَرِيعُ^(١)

أشار بذلك الشعر إلى الحديث النبوي الشريف، كما ورد في (أخبار الطالبيين): لما نزلت: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»^(٢).

قال النبي ﷺ: «تخسر أمتي على خمس رايات: راية مع عجل هذه الأمة، وراية مع فرعونها، وراية مع سامريها، وراية ذي الثدية، فأسألهم: ما فعلتم بالثقلين؟ فيقولون: الأكبر مزقنا، والأصغر عادينا. فأقول: ردوا ظمئنا مسودة وجوهكم، ثم ترد راية علي إمام

(١) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٦.

المتقين عليهم السلام، فأسألهم؟

فيقولون: الأكبر اتبعنا، والأصغر وازرنا، حتى أهرقت دماؤنا.

فأقول: ردوا رواءً مبيضة وجوهكم»^(١).

وهذه القصيدة إلى تمام نيف وخمسين بيتاً، وحسبها منقبة، وكفاها مدحاً أنه لم يعهد لشعر من الشعراء المجيدين أو المخلصين نظم شعر يحمل حديثاً شريفاً في ثواب حفظه، والأمر بحفظه، كما عهد السيد الحميري حيث روي عن الرضا عليه السلام في حديث طويل أنه قال: «قد أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ في المنام من كثرة ما كررها ورددها علي، بعدما قال لي: يا علي! احفظ هذه القصيدة ومر شيعتك بحفظها، فمن حفظها ضمنت له على الله الجنة»^(٢).

وقيل: إن السيد الحميري تعرض لحالة الإغماء عند احتضاره، فاسود وجهه في ذلك الإغماء، ثم أفاق وابيض وجهه بأحسن ما يكون. وقيل: إنهم ذكروا لما اسودَّ وجهه اغتمَّ المؤمنون الحاضرون عنده واشتدَّ حزنهم، وفرح به الشامتون والأعداء، فترأى له - وهو في حالة الاحتضار - أمير المؤمنين عليه السلام لأنه يحضر المؤمن والمنافق حين الاحتضار^(٣)، فلما نظر إلى وجه مولاه تضرع

(١) راجع الصراط المستقيم: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٣٢٩.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٩٢ ح ٤٢ وفيه: عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر

إليه ، وقال : أهكذا يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين ؟ ! كما سمعه الحاضرون ، فتورّ وجهه بذلك ، وفتح عينيه ، وأجرى هذه الأبيات على لسانه :

أحبُّ الذي مَن مَاتَ مِن أَهْلِ وَدِّهِ
تَلَقَّاهُ بِالبُشْرَى لَدَى المَوْتِ يَضْحَكُ
وَمَن مَاتَ يَهُوَى غَيْرَهُ مِن عَدُوِّهِ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِلَى النَّارِ مَسَلَكُ
أَبَا حَسَنِ ! تَفْدِيكَ نَفْسِي وَأَسْرَتِي
وَمَالِي وَمَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَرْضِ أَمْلِكُ
أَبَا حَسَنِ ! إِنِّي بِفَضْلِكَ عَارِفُ
وَأَنِّي بِحَبْلِ مِّنْ هَوَاكَ لَمُمْسِكُ
وَأَنْتَ وَصِيُّ المِصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ
وَأَنَا نَعَادِي مُبْغِضِيكَ وَنَتْرُكُ
مُؤَالِيكَ نَاجٍ مُؤْمِنٌ بَيْنَ الْهَدَى
وَقَالِيكَ مَعْرُوفُ الضَّلَالَةِ مُشْرِكُ
وَلَا حَ لِحَانِي فِي عَلِيٍّ وَحَزْبِهِ
فَقُلْتُ : لِحَاكَ اللهُ ! إِنَّكَ أَعْفَاكَ^(١) !

→ وعن جعفر عليه السلام أنهما قالَا : «حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة ، محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقرأ عينها أو تسخن عينها».

(١) بحار الأنوار : ج ٦ ص ١٨١ .

وروي : أنه لما بدت في وجهه نكتة سوداء وزادت حتى أطبقت وجهه ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى بدت من ذلك المكان لمعة بيضاء فأشرق وجهه نوراً ، فضحك السيد وقال :

كَذِبَ الزَّاعِمُونَ أَنَّ عَلِيًّا
لَا يَنْجِي مُحِبُّهُ مِنْ هِنَاتٍ
قَدْ وَرَيْتِي دَخَلْتُ جُنَّةَ عَدْنٍ
وَعَفَا لِي إِلَهُ عَنْ سَيِّئَاتِي
فَابْشَرُوا الْيَوْمَ أَوْلِيَاءَ عَلِيٍّ
وَتَوَلَّوْا عَلِيًّا حَتَّى الْمَمَاتِ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ تَوَلَّوْا بَنِيهِ
وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ بِالصُّفَاتِ^(١)

وفي الأخبار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه ذكر عنده السيد الحميري بعد وفاته ، فترحم عليه .

ف قيل له : أنه كان يشرب النبيذ !

فقال عليه السلام ثانياً : «رحمه الله» !

ثم قال له رجل : إني رأيته يشرب النبيذ الرستاق !

قال عليه السلام : «تعني الخمر» ؟ قلت : نعم .

(١) راجع الأمالي للطوسي : ص ٦٢٨ .

قال عليه السلام: «رحمه الله، وما ذلك على الله أن يغفر لمحبي علي عليه السلام شرب النبيذ»^(١).

نقول لأنه تاب من ذلك قبل موته.

ويؤيد هذا المقال ما رواه الشيخ في (الأمالي) عن الباقر عليه السلام أنه قال: «ما ثبت الله حب علي بن أبي طالب في قلب أحد، فزلت له قدم إلا ثبتت له قدم أخرى»^(٢)،

وقولهم: «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغض علي سيئة لا تنفع معها حسنة»^(٣).

والمراد أنه كالبحر فكما لا يتسخ ببعض النفايات كذلك لا تتسخ تلك الحسنة ببعض السيئات.

إن قصة السيد الحميري تظهر لنا بشكل جلي مرونة الشاعر لا تعنته، وقناعته لا تزمته، وتظهر أيضاً تساؤله وبحثه المستمر عن عقيدة يرضاها لنفسه، ولا يلقتها له أبواه تلقينا، فهو لم يقتنع بالمذهب الإباضي الذي كان والداه قد اعتنقاه، ولو كان شخصاً عادياً لتلقف برضا تام مذهب أبويه، لكنه أبى ذلك وواجههما حد القطيعة والعداء، ثم جرب الكيسانية، وهي الأخرى لم يكن فيها

(١) راجع الغدير: ج ٢ ص ٢٢٠.

(٢) راجع الأمالي للطوسي: ص ١٣٣.

(٣) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ٨٦ ح ١٠٣.

ما يسد به فراغ روحه ، لذا نبذها سريعاً وبدأ يجرب المزيد والمزيد من القناعات ، حتى ألقت سفينته الدائبة مرساتها عند شاطئ أهل البيت عليهم السلام ، الذين هم الملاذ الأمثل والموئل الطيب والسد المنيع أمام مخاطر التيارات العمياء ، فأخلص لهم ونال بذلك سعادة الدنيا والآخرة ، بعد أن امتلأت روحه الدؤوب بأنوار وجوههم النبوية .

أحمل خشبتي على كتفي

كانت لدعبل الخزاعي^(١) مواقف بطولية في مدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام وتحديه للسلطة العباسية آنذاك وهو القائل: (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك)^(٢)، عاش دعبل في غليان من الخوف والقلق حتى وافاه الأجل قتيلاً.

وهو شاعر ماهر ومادح لأهل البيت عليهم السلام، صاحب الأشعار الفاخرة الكثيرة، والآثار الباهرة المستنيرة، كان معروفاً بجودة الكلام، مع لطافة الطبع، وظرافة الصنع، وكثرة الملاحظة في أسلوب الفصاحة، والاتفات إلى دقائق أسرار المعاني والبيان. وفي إحدى السنين وفد دعبل على أبي الحسن الرضا عليه السلام

(١) هو دعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، عربي قحطاني ويكنى (أبا علي)، ولد سنة (١٤٨هـ) ولم يعرف مكان ولادته بالضبط، وكانت أسرته في الأصل من الكوفة أو من قرقيسيا (بلدة على نهر الخابور في الفرات) والمعروف أنه كوفي وقد قضى سني حياته في الكوفة، تتلمذ وتخرج في الشعر على مسلم بن الوليد الشاعر، وهو الذي شجعه على قول الشعر، غادر الكوفة واستوطن بغداد أيام هارون فكانت دار إقامته وعاصر خمسة حكام عباسيين هم: هارون والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وتوفي سنة (٢٤٦هـ) وله قبر يزار في مدينة (شوش) بالقرب من قبر نبي الله دانيال عليه السلام، عاش (٩٧) سنة.

(٢) راجع الأعلام للزركلي: ص ٣٣٩.

بخراسان، فلما دخل عليه قال: إني قلت قصيدة، وجعلت في نفسي أن لا أنشدها أحداً غيرك، فقال عليه السلام: (هاتها)، فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

لَمْ تَرَ أُنِّي مُذْ ثَلَاثِينَ حَجَّةً
أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِرَاتِ

فلما فرغ من إنشاده قام أبو الحسن عليه السلام، ودخل منزله وبعث إليه بخرقه خز فيها ستمائة دينار، وقال للجارية: «قولي له: يقول لك مولاي: استعن بهذه على سفرك واعذرنا».

فقال لها دعبل: لا والله، ما هذا أردت، ولا له خرجت، ولكن قولي له: هب لي ثوباً من ثيابك، فردها عليه أبو الحسن عليه السلام وقال له: «خذها»، وبعث بجلباب من ثيابه، فخرج دعبل حتى ورد قم المقدسة، فنظروا إلى الجلباب فأعطوه فيها ألف دينار فأبى البيع، وقال: لا والله، ولا خرقه منها بألف دينار.

ثم خرج من قم المقدسة فاتبعته جماعة من الرجال وتألّبوا عليه وأخذوا الجلباب، فرجع إلى قم وكلمهم فيما سرقوه منه، فقالوا: ليس إليها سبيل، ولكن إن شئت فخذ ألف دينار.

فقال: نعم، وخرقه منها، فأعطوه ألف دينار وخرقه منها، وقيل: أنه دفع إليه في ذلك الجلباب ثلاثون ألف درهم فلم يبيعه، فقطعوا عليه الطريق فأخذوه منه، وقال لهم: إنه يراد لله عز وجل

وهو محرم عليكم، فحلف أن لا يبيعه إلا أن يعطوه بعضه، فيكون في كفه، فأعطوه كُماً واحداً فكان في أكفانه، وكتب أيضاً قصيدته: مدارس آيات، على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون في كفه أيضاً^(١).

وقال دعبل الخزاعي: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام - يعني بذلك أيام المحرم - فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه من حوله كذلك، فلما رأيته مقبلاً، قال لي: «مرحباً بك يا دعبل! مرحباً بمادحنا ومحبنا، ومرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثم إنه وسع لي في مجلسه، وأجلسني إلى جانبه.

ثم قال عليه السلام لي: «يا دعبل! أحب أن تشدني شعراً، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت على أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل! من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله تعالى، يا دعبل! من ذرفت عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل! من بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البتة». ثم إنه عليه السلام نهض وضرب سترأ بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر، ليكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إلي وقال: «يا دعبل! ارث

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٦٠ ح ١٥.

الحسين عليه السلام فانت ناصرنا ومادحنا، ما دمت حياً فلا تقصر عن نصرنا
ما استطعت»^(١). قال دعبيل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشدت:

سَابِكِيهِمْ مَا ذَرَفِي الْأَفْقِ شَارِقُ
وَنَادَى مُنَادِي الْخَيْرِ لِلصَّلَوَاتِ
وَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ وَحَانِ غُرُوبِهَا
وَيَا لَيْلِ أَبْكِيهِمْ وَيَا لَغَدَوَاتِ
دِيَارِ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْنَ بَلَقَعَا
وَأَلْ زِيَادِ تَسْكُنُ الْحُجُرَاتِ
وَأَلْ زِيَادِ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةَ
وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الظَّلَوَاتِ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدِ
تَقَطَّعَ نَفْسِي إِثْرَهُمْ حَسَرَاتِ
خُرُوجِ إِمَامٍ لَا مَحَالَةَ خَارِجُ
يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ
يُمِيزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَيَاطِلِ
وَيَجْزِي عَلَى النِّعَمَاءِ وَالنَّقَمَاتِ
فَيَا نَفْسُ طِيبِي، ثُمَّ يَا نَفْسُ فَاثْبِرِي
فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ أَوَاتِ

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣٨٦ ح ١٢٢٣٦.

وَلَا تَجْزَعِي مِنْ مُدَّةِ الْجَوْرِ إِنَّنِّي
 أَرَى قُوَّتِي قَدْ أَذْنَتْ بِثَبَاتِ
 فَيَا رَبَّ عَجَّلْ مَا أُوْمَلُ فِيهِمْ
 لِأَشْفِي نَفْسِي مِنْ أَسَىِ الْمَحَنَاتِ
 فَإِنْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مُدَّتِي
 وَأَخَّرَ مِنْ عُمْرِي وَوَقْتُ وَفَاتِي
 شُفِيتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي غُصَّةً
 وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مَنْصَلِي وَقَنَاتِي^(١)

أقول: إن هذه القصيدة هي التائية المشهورة التي تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائعاً، وفيها من مناقب أهل بيت العصمة ومن مصائبهم عليهم السلام الجم الغفير، ومطلعها الذي بدأ بإنشاده للحضرة المقدسة الرضوية، قوله:

تَجَاوَيْنَ بِالْإِرْنَانَ وَالزَّفَرَاتِ
 نَوَائِحُ عُجْمِ اللَّفْظِ وَالنُّطْقَاتِ
 يُخْبِرُنَ بِالْأَنْفَاسِ عَنْ سِرِّ أَنْفُسِ
 أَسَارَى هَوَى مَاضٍ وَأَخْرَآتِ

وعن دعبل قال: جاءني خبر موت الرضا عليه السلام وأنا بقم، فقلت قصيدتي الرائية في مرثيته عليه السلام:

(١) راجع القصيدة كاملة في بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٤٥ ح ١٣.

ارى اميئة معذورين ان قتلوا
 ولا ارى لبني العباس من عذر
 اولاد حرب ومروان واسرتهم
 بنو معيط ولاة الحقد والوغر
 قوم قتلتم على الاسلام اولهم
 حتى اذا استمكنوا جازوا على الكفر
 اربع بطوس على قبر الزكي به
 ان كنت تريع من دين على وطر
 قبران في طوس خير الناس كلهم
 وقبر شرهم، هذا من العبر
 ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما
 على الزكي بقرب الرجس من ضرر
 هيئات كل امرئ رهن بما كسبت
 له يدها فخذ ما شئت اوفذر^(١)

وروى عن علي بن دعلج بن علي الخزاعي، قال: لما أن
 حضرت أبي الوفاة تغير لونه، وانعقد لسانه، واسود وجهه، فرأيتـه
 بعد ثلاث أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء،
 فقلت له: يا أبة! ما فعل الله بك؟ فقال: يا بني! إن الذي رأيته من

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٢٨١.

اسوداد وجهي ، وانعقاد لساني ، كان بسبب شربي الخمر في دار الدنيا ، ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله ﷺ وعليه ثياب بيض فقال ﷺ لي : «أنت دعبل» ؟ قلت : نعم ، يا رسول الله ! قال ﷺ : «فأنشدني قولك في أولادي» ، فأنشدته قولي :

لَا أَضْحَاكَ اللَّهُ سِنَّ الدَّهْرِ إِنْ ضَحِكْتَ
وَأَلْ أَحْمَدَ مَظْلُومُونَ قَدْ قَهَرُوا
مُشَرَّدُونَ نُفُوسًا عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ
كَأَنَّهُمْ قَدْ جَنَوْا مَا لَيْسَ يُغْتَفَرُ

فقال لي رسول الله ﷺ : «أحسنْتَ» ، وشفع لي ، وألبسني ثيابه وهاهي ، وأشار إلى ما كان يرتدي^(١).

فهيناً له حسن عاقبته ، فإنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :
«الإخلاص أشرف نهاية»^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا : ج ١ ص ٢٩٨ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٧ ح ٣٨٩٤ .

قَبِلْتُ هَدِيَّتَكَ

حكى أن المنصور الدوانيقي^(١) تقدّم إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه ، فقال عليه السلام : إني قد فتشت الأخبار عن جدّي رسول الله ﷺ فلم أجد لهذا العيد خبراً وإنه سنة للفرس محاها الإسلام ومعاذ الله أن نحبي ما محاه الإسلام ، فقال المنصور : إنما نفعل هذا سياسة للجند فسألتك بالله العظيم إلّا جلست ، فجلس ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهتّونه ويحملون إليه الهدايا والتحف ، وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل ، فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير السن فقال : له يا ابن بنت رسول الله إئتني رجل صعلوك لا مال لي أتخفك ولكن أتخفك بثلاث أبيات قالها جدّي في جدّك الحسين بن علي عليه السلام :

عَجَباً لِمَصْقُولٍ عَلاكَ فِرْنَدُهُ

يَوْمَ الْهَيَاجِ وَقَدْ عَلاكَ غَبَارُ

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ثاني حكام بني العباس بعد أخيه أبي العباس السفاح ، وقد مكث في الحكم اثنين وعشرين سنة (من سنة ١٣٦هـ وحتى سنة ١٥٨هـ) ، معاصراً في هذه المدة للإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي قتل مسموماً في المدينة المنورة سنة (١٤٨هـ) ، ثم للإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وفي عهده تم إنشاء مدينة بغداد ، أما لقبه (الدوانيقي) فقد جاء من شدة بخله ، حيث قيل إنه كان يحاسب العمال والصناع على الحبات والدوانيق ، والدانق عملة نقدية صغيرة كانت رائجة في ذلك الزمان .

وَلَأَسْأَلُهُمْ نَفَذَتْكَ دُونَ حَرَائِرِ
يَدْعُونَ جَدَّكَ وَالِدُ مُوَعُ غِرَارُ
إِلَّا تَقْضُضَتْ السُّهُامُ وَعَاقِبَهَا
عَنِ جِسْمِكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِكْبَارُ

قال عليه السلام: «قبلت هديتك اجلس بارك الله فيك»،
ورفع عليه السلام رأسه إلى الخادم وقال: «امض إلى الأمير وعرفه بهذا
المال وما يصنع به»، فمضى الخادم وعاد وهو يقول: يقول الأمير:
كلها هبة مني له يفعل به ما أراد، فقال الإمام عليه السلام للشيخ:
«اقبض جميع هذا المال فهو هبة مني لك»^(١).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أخلص العمل لم يعدم
الأموال»^(٢)، وإن حكاية هذا الرجل المسن تعكس بحق هذه
المقولة. فإن هذا الرجل اعترف دون حرج أو تلثم أنه لا يملك
مالاً، ولكنه يمتلك ثلاثة أبيات قالها أبوه في السبب الشهيد عليه السلام،
فأهداها إلى الإمام ولم يفكر بهبة أو صلة أو مال سيعطيه إياه
الإمام، وإنما دفعه الوفاء والإخلاص المحض، واستحق بذلك رضا
الله تعالى أولاً، ورضا الإمام، وهكذا فإن كل من أخلص فإنه
لا يعدم المكافأة الجزيلة.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٨ ص ١٠٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢٠.

يا غلام سق إليه البغلة

عن أبي عثمان الجاحظ أنه قال: ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس^(١) ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته، فما وجدنا فيه إلا جزءاً مشتملاً على الغرائب ونحو ذلك ليس إلا^(٢).

ويروى أن الخنصيص صاحب ديوان الخراج بمصر سألته عن نسبه؟، فقال له: أغناني أدبي عن نسبي.

روى صاحب كتاب (بشارة المصطفى لشيعته المرتضى)، عن ياسر الخادم، قال: لما جعل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام ولي عهده، وسُكَّتِ الدنانير والدراهم باسمه، وخطب على المنابر، قصده الشعراء من جميع الآفاق، فكان أبو نواس الحسن بن هاني من جملتهم، فمدحه كل شاعر بما عنده إلا أبو نواس، فإنه

(١) أبو نواس الحسن بن هاني بن عبد الأول، ولد في الأهواز في الجنوب الغربي من بلاد فارس سنة (١٤٥هـ = ٧٥٧م)، كان قليل الاهتمام بالشعرية التي كانت شائعة في أيامه، ولم يكن متعصباً للعرب على الفرس ولا لغير العرب على العرب، وهو شاعر الخمر، كان نديماً لمحمد الأمين بن هارون العباسي من زوجته زبيدة، قيل: هو في الطبقة الأولى من المولدين، وكان للمحدثين مثل امرئ القيس للشعراء السابقين، توفي سنة (١٩٩هـ / ٨١٣م)، ودفن في مقابر الشونيزي، راجع الذريعة: ج ٩ ص ٥١.

(٢) راجع الأعلام للزركلي: ج ٢ ص ٢٢٥.

لم يقل فيه شيئاً ولم يقدم أشعاره ، فعاتبه المأمون وقال له : يا أبا نواس ! أنت مع تشيعك وميلك إلى أهل هذا البيت ، تركت مدح علي بن موسى الرضا عليه السلام ، مع اجتماع خصال الخير فيه ، فأنشأ يقول :

قِيلَ لِي: أَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ طُرّاً
إِذْ تَفَوَّهْتَ بِالكَلَامِ الْبَدِيهِ
لَكَ مِنْ جَيْدِ الْقَرِيضِ مَدِيحٌ
يُثْمِرُ الدَّرْفِي يَدَيِ مُجْتَنِيهِ
فَعَلَى مَا تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى
وَالْخِصَالِ الَّتِي تَجْمَعُنَ فِيهِ
قُلْتُ: لَا اسْتَطِيعُ مَدْحَ إِمَامٍ
كَأَنَّ جِبْرِيلَ خَادِمًا لِأَبِيهِ
قَصُرَتْ السُّنَنُ الْفَصَاحَةُ عَنْهُ
وَلِهَذَا الْقَرِيضُ لَا يَحْتَوِيهِ
قال : فدعا بحقة لؤلؤ فملا فاه لؤلؤاً^(١).

ونقل الشيخ الصدوق رحمته الله بإسناده المعتبر عن محمد بن يحيى الفارسي أنه قال : نظر أبو نواس إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ذات يوم ، وقد خرج من عند المأمون على بغلة له ، فدنا منه أبو نواس في الدهليز ، فسلم عليه ، وقال : يا بن رسول الله ! قد قلت فيكم

(١) راجع بشارة المصطفى : ص ١٣٣.

أبياتاً وأود أن تسمعها، قال عليه السلام: هات، فأنشأ يقول:

مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٍ ثِيَابُهُمْ
تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذَكُرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيًّا حِينَ تَنْسِبُهُ
فَمَا لَهُ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
وَاللهُ لِمَا بَرَأَ خَلْقاً فَاتَّقَنَهُ
صَفَّاكُمُ وَاَصْطَفَاكُمُ أَيُّهَا الْبَشَرُ
فَأَنْتُمْ الْمَلَأُ الْأَعْلَى وَعِنْدَكُمْ
عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ

فقال الرضا عليه السلام: «يا حسن بن هاني! قد جئنا بأبيات ما سبقك أحد إليها، فأحسن الله جزاك»، ثم قال عليه السلام: «يا غلام! هل معك من نفقتنا شيء؟» فقال: ثلاثمائة دينار، فقال عليه السلام: «أعطها إياه»، ثم قال: «لعله استقلها يا غلام! سق إليه البغلة»^(١).

ونقل المجلسي رحمته الله في البحار أيضاً بالإسناد المتصل عن أبي العباس المبرد، قال: خرج أبو نواس ذات يوم من داره، فبصر براكب قد حاذاه فسأل عنه ولم ير وجهه، فقليل: إنه علي بن موسى الرضا عليه السلام، فأنشأ يقول:

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٣٦ ح ٥٠.

إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ مِنْ بَعْدِ غَايَةٍ
 وَعَارِضَ فَيْكَ الشُّكَّ أَثْبَتَكَ الْقَلْبُ
 وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا أَمُّوكَ لَقَادَهُمْ
 نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرُّكْبُ^(١)

وفي كل ما ذكر من الروايات أيضاً من الدلالة على حسن حال
 الرجل، وخيرية ماله، وإمامية مذهبه، ما لا يمكن إخفاؤه.
 وظاهراً أن أصحاب المعرفة والعقل والعلم لا يموتون إلا وهم
 راجعون إلى هذا الأمر.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ٢٣٦ ح ٤٠.

دراهم الإمام الرضا عليه السلام

روي أن هارون المهلبى قال: لما بايع الناس الإمام الرضا عليه السلام
بولاية العهد في دولة المأمون العباسي، جاء إبراهيم الصولي^(١)
ودعبل بن علي الخزاعي، فأنشدا أشعارهما بحضرة الإمام
الرضا عليه السلام، فأنشد دعبل ضمن قصيدة طويلة:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ
وَمَنْزَلُ وَحْيٍ مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ
فيما أنشد إبراهيم بن عباس الصولي:

(١) إبراهيم بن العباس الصولي بن محمد بن صول الكاتب مولى يزيد بن المهلب، ولد
سنة (١٧٦ أو ١٦٧ هـ) ومات للنصف من شعبان سنة (٢٤٣ هـ) بسامراء، وأصله من
خراسان وهو رجل تركي، وقيل إنه منسوب إلى (صول) بعض ضياع جرجان.
وفي أنساب السمعاني: ج ٣ ص ٥٦٧ هذه النسبة إلى (صول) وهو اسم لبعض
أجداد المنتسب إليه، و(صول) مدينة بباب الأبواب، قال بعض القدماء:
فِي لَيْلِ صُؤْلٍ تَنَاهَى الْعَرَضُ وَالطُّؤْلُ
كَأَنَّمَا صُبْحُهُ بِالْحَشْرِ مَوْصُولُ
كان كاتباً حاذقاً، بليغاً، فصيحاً، منشئاً، نقل عنه أنه كان من أبلغ الناس في الكتابة
ثم صار كلامه مثلاً، ونقل أنه أحد البلغاء والشعراء الفصحاء وعدوه من شعراء
الشيعة ومادحي أهل البيت عليه السلام.

أَزَالَ عَنْاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ

مَصْنَعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

فَأَعْطَاهُمَا الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مِنَ الدِّرَاهِمِ
الَّتِي أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَضْرِبَ اسْمَ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهَا.

قَالَ الرَّائِي: أَمَّا دَعْبِلُ الْخَزَاعِي فَقَدْ أَخَذَ سَهْمَهُ مِنَ الدِّرَاهِمِ
وَهُوَ عَشْرَةُ أَلْفٍ وَقَرَّرَ السَّفَرَ إِلَى قِمِّ الْمَقْدِسَةِ، وَفِي قِمِّ بَادِلِ كُلِّ
دِرْهَمٍ بِعَشْرَةِ دِرَاهِمٍ، فَأَصْبَحَ مَجْمُوعٌ مَا عِنْدَهُ مِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ.

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَدْ احْتَفَظَ بِالْمَبْلُغِ إِلَّا بَعْضاً مِنْهُ أَهْدَاهُ
لِبَعْضِ مَعَارِفِهِ، أَوْ أَعْطَاهُ لِبَعْضِ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ، إِلَى أَنْ حَانَتْ وَفَاتِهِ
فَكَانَتْ مَصَارِفُ كَفْنِهِ وَدَفْنِهِ مِنْ تِلْكَ الدِّرَاهِمِ^(١).

عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ
يَقُولُ: طَوْبِي لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالِدَعَاءَ، وَلَمْ يَشْغُلْ قَلْبَهُ بِمَا
تَرَى عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ، وَلَمْ يَحْزَنْ صَدْرُهُ بِمَا
أَعْطَاهُ غَيْرُهُ»^(٢).

(١) راجع عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ١٥٤.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ١٦ ح ٣.

أما سمعت أبيات ابن صيفي

حكى عن الشيخ نصر الله بن مجلي وكان من ثقات أبناء العامة كما قالوا عنه ، أنه قال : رأيت في المنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ! تفتحون مكة ، فتقولون : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، ثم يجري على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف ما جرى ؟.

فقال عليه السلام لي : « أما سمعت أبيات ابن صيفي ^(١) في هذا ؟
فقلت : لا ، فقال عليه السلام : « اسمعها منه » .

(١) أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفي التميمي ، المعروف بـ (حيص بيص) ، شاعر متفرد مشهور ، أبدع في نظم الشعر مع جزالة لفظه . وله رسائل فصيحة بليغة ، وأخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ، واختلاف لهجاتهم ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي ، وكان يلبس زي العرب ، ويتقلد سيفاً ، وإنما قيل له : (حيص بيص) ، لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد ، فقال : ما للناس في حيص بيص ، فبقي عليه هذا اللقب ملازماً ، ومعنى هاتين الكلمتين : الشدة والاختلاط ، تقول العرب : وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء الموافق للسادس من شعبان سنة (٥٧٤ هـ) ببغداد ، ودفن في اليوم التالي بالجانب الغربي في مقابر قريش ، وكان إذا سُئل عن عمره ؟ يقول : أنا أعيش في الدنيا مجازفة ، لأنه كان لا يحفظ تاريخ مولده ، وكان يزعم أنه من ولد أكرم بن صيفي التميمي حكيم العرب .

ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص ، فخرج إليّ ،
 فذكرت له الرؤيا ، فاختنق بعبرته وأجهش بالبكاء ، وحلف بالله إن
 كانت قد خرجت من فمي أو خطي إلى أحد ، ولم أنظمها إلا في
 هذه الليلة ، ثم أنشدني :

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً
 فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَأَلَ بِالدَّمِ ابْطَحُ
 وَحَلَلْتُمْ قَتَلَ الْأَسَارَى وَطَالَ مَا
 غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَعِيفُ وَنَصْفَحُ
 فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَنَا
 وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالنِّدَى فِيهِ يَنْضَحُ^(١)

وفي هذا نرى كيف استنار قلب حيص بيص فنظم هذه
 الأبيات التي تزيل شبهة مهمة ، لأنه كان مخلصاً في دينه وفي
 محبته للرسول الكريم ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام ، يقول أمير
 المؤمنين عليه السلام : «عند تحقق الإخلاص تستنير القلوب»^(٢).

ولحيص بيص في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :
 قَوْمٌ إِذَا أَخَذَ الْمَدِيحُ قَصَائِدًا
 أَخَذُوهُ عَنْ طَهٍ وَعَنْ يَاسِينَ

(١) راجع الذريعة : ج ٢٤ ص ١١٩ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩١٤ .

وَإِذَا انْطَوَى أَرْقُ الْأَضَالِيعِ وَفَرُّوا
 مَيْسُورَ زَادِهِمْ عَلَى الْمُسْكِينِ
 وَإِذَا عَصَى أَمْرَ الْمَوَالِي خَادِمٍ
 نَفَذَتْ أَوَامِرُهُمْ عَلَى جَبْرَيْنِ
 وَإِذَا تَفَاخَرَتِ الرَّجَالُ بِسَيِّدٍ
 فَخَرُّوا بِأَنْزَعِ فِي الْعُلُومِ بَاطِنِ
 مُلْقَى عَمُودِ الشُّرْكِ بَعْدَ قِيَامِهِ
 وَمُبَيَّنُ دِينِ اللَّهِ بَعْدَ كُمُونِ
 وَالْمُسْتَعَاثُ إِذَا تَصَافَحَتِ الْقَنَا
 وَغَدَتِ صُفُونُ الْخَيْلِ غَيْرَ صُفُونِ
 مَا أَشْكَلَتْ يَوْمَ الْجِدَالِ قَضِيَّةٌ
 إِلَّا وَبَدَلُ شَكْهَا بَيَقِينِ
 مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمَوْضِعُ الْـ
 خُلُقِ الْجَلِيلِيِّ وَفِتْنَةُ الْمَفْتُونِ^(١)

ومن قصة حيص بيص نتلمس الفرق بين عقيدتين وسلوكين ،
 سلوك القائد الذي يحمل المثل الإلهية العليا بين جنبيه ، وسلوك
 السلطان الجائر الذي أعمته أبهة السلطان فلم ينظر إلى أبعد من

(١) راجع مناقب آل أبي طالب : ج ٢ ص ٦٢ .

أنفه ، فالمؤمن الأخرى يصفح عن ألد أعدائه وهو متمكن منهم ،
ويحقن دماءهم ، بل ولا يخوفهم ولا يرعبهم ، بينما الأعداء إذا
تمكنوا لم يرحموا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ، فنراهم يستبيحون
الحرمات ويسفكون الدماء .

وليس غريباً أو عجباً بعد هذا أن يقابل الأمويون عفو رسول
الله ﷺ وصفحه عنهم يوم فتح مكة ، بقتل أبنائهم وسبي نساءهم
يوم الطف .

من لا يحبه فليس بمؤمن

ينقل صاحب كتاب (الأنوار المضيئة)^(١) وغيره : أنه كان في زمان الشاعر الموالي (ابن الحجاج أبي عبد الله البغدادي)^(٢) رجلان صالحان لكنهما يزدريان بشعره ويهجوانه كثيراً ، وهما : محمد بن قارون السبيي ، وعلي بن الزرזור السورائي ، فرأى الأخير منهما رؤية في المنام ، كأنه أتى إلى روضة الإمام الحسين عليه السلام وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام حاضرة هناك ، مسندة ظهرها على ركن الباب الكائن على جهة اليسار بالنسبة للداخلين ، وباقي الأئمة

(١) هو السيد الجليل زين الدين علي بن عبد الحميد النيلي النجفي الحسيني ، أستاذ العلامة ابن فهد الحلبي المتوفى سنة (٨٤٤هـ).

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي ، الكاتب الفاضل الأديب الشاعر ، من شعراء أهل البيت عليه السلام ، كان معاصراً للسيد المرتضى والرضي (رحمهما الله تعالى) ، وقد توفي سنة (٣٩١هـ) ، وله ديوان شعر كبير وجمع الشريف الرضي المختار من شعره سماه (الحسن من شعر الحسين) ومن شعره القصيدة الغائية المعروفة :

يَا صَاحِبَ الْقُبَّةِ الْبَيْضَاءِ فِي النَّجَفِ
مَنْ زَارَ قَبْرَكَ وَاسْتَشْفَى لَدَيْكَ شُفِي
كان من شعراء أهل البيت المتجاهرين بحبهم وبغض أعدائهم ، وله ديوان كبير جداً في عدة مجلدات ، ومن جملة حكاياته الغريبة الدالة على جلالة قدره ، وعظم منزلته عند أهل بيت العصمة عليه السلام .

حتى مولانا الصادق عليه السلام جلوس أيضاً في مقابلها في الزاوية التي بني فيها ضريح الحسين وولده علي الأكبر الشهيد عليه السلام متحدثين بما لا يفهم.

ومحمد بن قارون المقدم قائم بين أيديهم ، قال السورائي : وكنت أنا أيضاً غير بعيد عنهم ، فرأيت ابن الحجاج ماراً في الحضرة المقدسة ، فقلت لمحمد بن قارون : ألا تنظر إلى الرجل كيف يمر في الحضرة ؟

فقال : وأنا لا أحبه حتى أنظر إليه .

قال : سمعت الزهراء عليها السلام بذلك ، فقالت له مثل المغضبة : «أما تحب أبا عبد الله ؟ أحبوه فإنه من لا يحبه ليس من شيعتنا» ، ثم ارتفع الحديث من بين الأئمة عليه السلام : «بأن من لا يحب أبا عبد الله فليس بمؤمن»^(١) . وكان ذلك لإخلاصه لأهل البيت عليه السلام .

وهذا مصداق لقول أمير المؤمنين عليه السلام : «بالإخلاص يتفاضل العمال»^(٢) .

وقد روي : أن السلطان مسعود بن بويه الديلمي^(٣) لما بنى سور مشهد النجف الأشرف ، وفرغ من تعمير القبة الزاكية وتم الطلاء بالإسمنت خارجها وداخلها ، دخل الحضرة الشريفة وقبّل القبة

(١) الأنوار المضيئة : ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩١٢ .

(٣) هو السلطان مسعود بن بويه الديلمي الذي بنى سور مشهد النجف الأشرف ، وفرغ من تعمير القبة الزاكية وجصص خارجها وداخلها .

المباركة ، وجلس على أحسن الأدب ، فوقف أبو عبد الله المذكور بين يديه ، وأنشد قصيدته التي كان مطلعها :

يا صاحب القبة البيضاء في النجف

على باب الحضرة.

فلما وصل إلى بعض المقاطع أغلظ له السيد المرتضى علم الهدى ، ونهاه من إنشاد ذلك في حضرة الإمام عليه السلام ، فانقطع عن الإيراد ، فلما جن عليه الليل رأى الإمام عليه السلام في المنام ، وهو يقول : « لا ينكسر خاطرك ، فقد بعثنا المرتضى علم الهدى ، يعتذر إليك ولا تخرج إليه ، فقد أمرناه أن يأتي دارك فيدخل عليك ».

ثم رأى السيد المرتضى في تلك الليلة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الكرام عليهم السلام جالسين حوله ، فوقف بين أيديهم فسلم عليهم فلم يقبلوا عليه ، فعظم ذلك عنده ، فقال : يا موالي ! أنا عبدكم وولدكم ومولاكم ، فما استحققت هذا منكم ؟ فقالوا عليهم السلام : « بما كسرت خاطر شاعرنا أبي عبد الله بن الحجاج ! فتمضي إلى منزله وتعتذر إليه ، وتمضي به إلى ابن بويه وتعرفه عنايتنا به ».

فنهض السيد المرتضى عليه السلام من ساعته ومضى إليه ، فقرع عليه باب حجرته ، فقال أبو عبد الله : يا سيدي ! الذي بعثك إليّ أمرني أن لا أخرج إليك ، وقال : كذا ، فقال : نعم ، سمعاً وطاعةً لهم ، ودخل عليه معتذراً ، ومضى به إلى السلطان وقص القصة عليه كما

رأياه ، فأكرمه وأنعم عليه ، وأمره بإنشاد القصيدة في تلك الحال ، فقال :

يا صَاحِبَ القُبَّةِ البَيْضَاءِ فِي النُّجَفِ
مَنْ زَارَ قَبْرَكَ وَاسْتَشْفَى لَدَيْكَ شُفِي
زُورُوا أَبَا الحَسَنِ الهَادِي لَعَلَّكُمْ
تَحْظُونَ بِالأَجْرِ وَالْإِقْبَالِ وَالزُّلْفِ
زُورُوا لِمَنْ تُسْمَعُ النُّجْوَى لَدَيْهِ فَمَنْ
يَزُرُهُ بِالقَبْرِ مَلْهُوفاً لَدَيْهِ كُفِي
إِذَا وَصَلْتَ فَاحْرِمِ قَبْلَ تَدْخُلِهِ
مُلْبِياً وَاسْنَعْ سَعياً حَوْلَهُ وَطُفِ
حَتَّى إِذَا طُفْتَ سَبْعاً حَوْلَ قُبَّتِهِ
تَأْمَلِ البَابَ تَلْقَى وَجْهَهُ فَقِفِ
وَقُلْ: سَلامٌ مِنَ اللهِ السَّلامِ عَلَى
أَهْلِ السَّلامِ وَأَهْلِ العِلْمِ وَالشَّرَفِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَوْلَايَ مِنْ بَلَدِي
مُسْتَمْسِكاً مِنْ حِبالِ الحَقِّ بِالطَّرَفِ
لَأَنَّكَ العُرْوَةُ الوُثْقَى فَمَنْ عُلِقَتْ
بِهَا يَدَاهُ فَلَنْ يَشْقَى وَلَمْ يَخَفِ
وَأَنْ أَسْمَاءُكَ الحَسَنَى إِذَا تَلَيْتِ
عَلَى مَرِيضٍ شُفِي مِنْ سُقْمِهِ الدَّنْفِ

لَأَنَّ شَأْنَكَ شَأْنٌ غَيْرُ مُنْتَقَصٍ
وَأَنَّ نُورَكَ نُورٌ غَيْرُ مُنْكَسِفٍ
وَأَنَّكَ الْآيَةُ الْكُبْرَى الَّتِي ظَهَرَتْ
لِلْعَارِفِينَ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الطُّرُقِ
هَذِي مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ دَائِمَةٌ
يَهْبِطُونَ نَحْوَكَ بِالْأَلْطَافِ وَالتَّخَفِ
كَالسَّطَلِ وَالْجَامِ وَالْمَنْدِيلِ جَاءَ بِهِ
جِبْرِيلُ لَا أَحَدٌ فِيهِ بِمُخْتَلِفٍ
كَأَنَّ النَّبِيَّ إِذَا اسْتَكْفَاكَ مُعْضِلَةٌ
مِنَ الْأُمُورِ وَقَدْ أَعْيَتْ لَدَيْهِ كُفْيُ
وَقِصَّةُ الطَّائِرِ الْمَشْوِيِّ عَنْ أَنْسٍ
تُنْبِي بِمَا نَصَّهُ الْمُخْتَارُ مِنْ شَرَفٍ
وَالْحَبِّ وَالْقَضْبِ وَالزَّيْتُونِ حِينَ أَتَوْا
تَكْرُمًا مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ ذِي اللَّطْفِ
وَالْخَيْلِ رَاكِعَةً فِي النِّقْعِ سَاجِدَةً
وَالْمَشْرِفِيَّاتِ قَدْ ضَجَّتْ عَلَى الْجَحْفِ
بَعَثْتَ أَغْصَانًا بَانَ فِي جُمُوعِهِمْ
فَأَصْبَحُوا كَرَمَادٍ غَيْرِ مُنْتَسِفٍ
لَوْ شِئْتَ مَسَخَهُمْ فِي دُورِهِمْ مَسِيخًا
أَوْ شِئْتَ قُلْتَ لَهُمْ: يَا أَرْضُ انْخَسِفِي

وَالْمَوْتُ طَوْعُكَ وَالْأَرْوَاحُ تَمَلِكُهَا

وَقَدْ حَكَمْتَ فَلَمْ تَظْلِمْ وَلَمْ تَجْفِ^(١)

وافاء الأجل في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادي
الآخرة، سنة (٣٩١هـ) في مصر، وحمل إلى بغداد، ودفن عند
مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام. وأوصى بأن يكتب
على لوح قبره ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(٢).
وهذا كله يدل على شدة إخلاصه.

(١) راجع الغدير: ج ٤ ص ٨٨ وما بعدها.

(٢) سورة الكهف: ١٨.

مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام

ناظر الشاعر الناشئ الصغير^(١) يوماً علي بن عيسى الرماني^(٢) في مسألة، فانقطع الرماني، فقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه.

وناظر أيضاً رجلاً أشعرياً فصفعه، فقال: ما هذا يا أبا الحسين؟ فقال: هذا ما فعله الله بك فلم تغضب مني؟ فقال: ما فعله غيرك وهذا دليل سوء الأدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضتني ونفرت مني إذ أقمت على مذهبك فهو من فعل الله، وإن انتقلت عن مذهبك فخذ مني الاعتذار والعوض، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة.

وقال الناشئ: كنت بالكوفة سنة (٣٢٥هـ) وأنا أقرأ شعري في المسجد الجامع، والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي^(٣) إذ ذاك

(١) علي بن عبد الله بن وصيف أبو الحسين الحلاء، المعروف بالناشيء الصغير، ولد سنة (٢٧١هـ)، وكان من متكلمي الشيعة الإمامية الفضلاء، وله شعر مدون، توفي سنة (٣٦٦هـ).

(٢) ولد سنة (٢٩٦هـ) وتوفي سنة (٣٨٤هـ).

(٣) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بأبي الطيب المتنبي، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ)، لازم فترة طويلة الأمير سيف الدولة الحمداني، ثم انتقل إلى مصر ومدح فيها كافور الإخشيدي، ثم خرج إلى العراق

يحضر معهم ، وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي ، فأملت القصيدة التي أولها :

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ
وَفِي آيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ
وقلت منها :

كَأَنَّ سِنَانَ ذَابِلِهِ ضَمِيرُ
فَلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ لَهُ ذَهَابُ
وَصَارُمُهُ كَبِيعَتِهِ بِخُمِ
مَقَاصِدِهَا مِنَ الْخَلْقِ الرَّقَابُ^(١)

فلمحته يكتب هذين البيتين مني ، ومنهما اقتبس ما أنشدتموني الآن له من قوله :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونُ
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادِ

→ والري وخراسان ، مادحاً الأمراء والملوك بشعر قل نظيره ، قتل سنة (٣٥٤هـ) بضبيعة قرب النعمانية في واسط ودفن هناك ، قال وقد عيب على ترك مدح أمير المؤمنين عليه السلام لفترة طويلة :

وتركت مدحي للوصفي تعمداً
إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً

(١) راجع الغدير : ج ٤ ص ٢٥ .

وَقَدْ صُفِّتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ
فَمَا يَخْطُرْنَ إِلَّا فِي الْفُؤَادِ
وفي مبيت علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله حين خرج إلى
الغار طلباً للهجرة إلى المدينة، يقول الناشئ:
وَقَى النَّبِيُّ بِنَفْسٍ كَانَ يَبْذُلُهَا
دُونَ النَّبِيِّ قَرِيرَ الْعَيْنِ مُحْتَسِباً
حَتَّى إِذَا مَا آتَاهُ الْقَوْمُ عَاجِلَهُمْ
بِقَلْبٍ لَيْثٍ يَعَافُ الرُّعْبَ مَا وَجِبَا
فَسَاءَ لَوْهُ عَنِ الْهَادِي فَشَاجَرَهُمْ
فَخَوْفُوهُ فَلَمَّا خَافَهُمْ وَثَبَا^(١)
وأنشد الناشئ في حمل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على كتفيه
لتكسير الأصنام عن البيت الحرام، قال:
وَكَسَّرَ أَصْنَاماً لَدَى فَتْحِ مَكَّةِ
فَأَوْرَثَ حَقِداً كُلَّ مَنْ عَبَدَ الْوَثْنَ
فَأَبَدَتْ لَهُ عَلِيّاً قُرَيْشِ عِدَاوَةٍ
فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْمُصْطَفَى الطُّهْرُ فِي مَحَنٍ
يُعَادُونَهُ أَنْ أَخْفَتَ الْكُفْرَ سَافِهُ
وَأَضْحَى بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفِي قَدْ عَلَنَ^(٢)

(١) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٣٧.

(٢) راجع مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٤٠٢.

كتب ياقوت الحموي^(١) في (معجم الأدباء) أنه روى الخالـع قال: كنت أنا وأبي في سنة (٣٤٦هـ) في مجلس المحدث الكبوذي المنعقد في المسجد الواقع بين سوق بيع الكتب والصاغة، وكان المجلس مزدحماً بالناس، فوقع بصري على رجل وصل تَوّاً وهو يرتدي قباءً، وفي إحدى يديه قربة ماء وشيء من الطعام، وفي اليد الأخرى يمسك بعضاً، وهذا الرجل لم ينفـض بعد تراب الطريق عن قبائه، فرأيتـه سلم على الحاضرين بصوت عال، وقال: أنا مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام إليكم، فرحبوا به واستقبلوه، وتقدموا به ورفعوه بيده إلى صدر المجلس، فلما استقر به الجلوس، قال: هل لكم أن تدلوني على أحمد المزوّق الخطيب الواعظ؟ قالوا: نعم، ها هو الجالس هنا. فقال الرجل: رأيت في منامي السيدة الزهراء عليها السلام وهي تقول لي: عرج إلى بغداد، واسأل عن أحمد المزوّق وقل له: انشد أشعار الناشئ في تعزية ولدي، التي يقول فيها:

بَنِي أَحْمَدَ قَلْبِي بِكُمْ يَتَقَطَّعُ

بِمَثَلِ مُصَابِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ

وما أن سمع الناشئ - الذي كان حاضراً في ذلك المجلس - هذا الكلام، حتى أخذ يلطم وجهه، وتوجه إلى أحمد المزوّق وضج المجلس، وأخذ الناس يرددونها إلى الظهر، وهذه القصيدة أكثر من

(١) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، (٥٧٤-٦٢٦هـ/١١٧٨-١٢٢٩م)، مؤرخ،

من أئمة الجغرافيين، له العديد من الكتب، أهمها: (معجم البلدان) الذي يعرف به (معجم الأدباء).

عشرة آيات ، وبعد انتهاء المجلس ، أصر الحاضرون على قبول ذلك
المسافر هديتهم فلم يقبل^(١). ومن الآيات :

فما بقعة في الأرض شرقاً ومغرباً
وليس لكم فيها قتيل ومصرع
ظلمتم وقتلتم وقسم فيئكم
وضاقت بكم أرض فلم يحم موضع
جسوم على البوغاء ترمي وأرؤس
على أرؤس اللدن الذوابل ترفع
توارون لم تاو فراشاً جنوبكم
ويسلمني طيب الهجوع فاهجع
عجب لكم تفنون قتلاً بسيفكم
ويسطو عليكم من لكم كان يخضع
كان رسول الله أوصى بقتلكم
وأجسامكم في كل أرض توزع
قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : « العمل كله هباء إلا ما
أخلص فيه »^(٢).

(١) راجع الغدير : ج ٤ ص ٣٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٥٥ ح ٢٨٩٦.

مطلعها يناسب سجع الختم

كان بابا فغاني الشيرازي من مشاهير الشعراء المعروفين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وكان في بادئ أمره رجلاً يلهو بالخمور والفجور، منغمساً في الملذات إلى أن شملته العناية الإلهية، فأخذ يجالس الأخيار والصالحين، واختار مجاورة شمس الشموس إمام طوس السلطان علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وفي أحد الأيام كان سدة الروضة الرضوية المطهرة يفكرون في صنع ختم يحمل سجعاً، لاستعماله في الشؤون الضرورية، إلى أن رأى أحد المتدينين المتولين لخدمة الروضة المطهرة للإمام الرضا عليه السلام في المنام أنه تشرف بخدمة الإمام عليه السلام، وهو يقول له: «إذا أصبح الصبح إذهب إلى خارج المدينة فترى رجلاً حافي الرأس والقدمين يأتي راجلاً، وكان قد قال قصيدة في مدحنا، ومطلعها يناسب سجع الختم».

وامثالاً لأمر الإمام عليه السلام فقد خرج سدة الحضرة المطهرة صباحاً إلى خارج المدينة لاستقبال الرجل الذي أشار له الإمام عليه السلام، فرأوا بابا فغاني وعرفوه، وجيء به إلى المدينة باستقبال حار منقطع النظير، وأخذوا مطلع قصيدته سجعاً للختم

المبارك وهو قوله : (ما ترجمته)

الخط الذي جزء منه كرامة للأفلاك التسعة

هو علامة خاتم سلطان الدين أبي الحسن^(١)

ليس هناك ما يثير الدهشة والاستغراب في هذه الحكاية ، فليس من الضرورة أن يظل متعاطي الفجور فاجراً طوال حياته ، ولا من يدعي الطهر طاهراً طوال حياته ، فالكثير ممن كانوا منغمسين في مستنقع الفجور والرذيلة أدركتهم رحمة الله وصفحه فتبرؤوا من ماضيهم الموبوء ونالوا درجة الاستقامة والإخلاص والتوبة النصوح ، وهناك من كان طاهر الثوب غفيف الذيل فانقلب على عقبيه ليصبح فاسداً مفسداً لا تناله رحمة الله ، وكما أن التطور نحو الأفضل ممكن فإن الانحدار نحو الأسوأ ممكن أيضاً ، وكما أن التحول من مباءة الشر إلى مملكة الخير محتمل فإن التحول من مملكة الخير إلى مباءة الشر محتمل أيضاً . ويبقى المحك في التوبة النصوح وفي الإخلاص ، فمن نالها فقد فاز ، ومن تجاهلها وابتعد عنها فقد خسر ، وقد لخص كل ما تقدم مولانا أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : « إن تخلص تفز »^(٢).

(١) أصل البيت باللغة الفارسية هو :

خطی که یک رقمش آبروی نه چمن است

نشان خاتم سلطان دین ابو الحسن است

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٧ ح ٣٩٠٢.

خلعة على قبر الرسول ﷺ

كان السيد حسن الغزنوي من مشاهير الشعراء، وقد سافر في وقت من الأوقات إلى الحجاز، وتشرف بزيارة مرقد صاحب الرسالة النبي الأكرم ﷺ، فأنشد قصيدة غراء، وصاح بصوت عال قريباً من القبر المطهر لصاحب الرسالة ﷺ، يطلب الصلة والخلعة.

فقد ذكر صاحب (رياض العارفين)^(١): أنه وجد خلعة قد وضعت أمامه، فأخذها ووضعها على رأسه، وخرج، فكانت هذه من كرامات الرسول ﷺ. إذ إن إخلاص هذا السيد وثقته في تلبية الرسول المصطفى ﷺ لطلبه رفعه إلى هذه المنزلة الجليلة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عليك بإخلاص الدعاء فإنه أخلق بالإجابة»^(٢).

(١) هو الميرزا رضا قلبي خان بن محمد هادي النوري رحمه الله، نزيل طهران، الملقب في

شعره بـ (هدایت)، المولود سنة (١٢١٥هـ)، والمتوفى سنة (١٢٨٨هـ).

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ ح ٣٧٥٥.

كيف بشر؟ كيف بشر؟

كان الملا مهر علي الفدوي الخوئي المتوفى سنة (١٣٥٠هـ) من الشعراء الذين تمتاز قريحتهم الفياضة بذوق وطبع شعري رفيع إضافة إلى تبحره في العلوم، وكان ينظم الأشعار باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية، ومن أشهر قصائده: (القصيدة الغديرية) التي أثبت فيها مدى عشقه وعلاقته وإيمانه بمولى المتقين الإمام علي عليه السلام.

وقد حكى المرحوم الملا علي الخياباني الكراميتي^(١) بصدد هذه القصيدة، قال: ذكر المرحوم فيلسوف الدولة الميرزا عبد الحسين خان^(٢) الزنوزي، تبريزي الأصل، مشهدي المسكن، الملا مهر علي التبريزي الخوئي المعروف بالفدوي، قال: من قصائده العربية المشهورة القصيدة التي قالها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وهي:

(١) هو الحاج المولى علي بن عبد العظيم الواعظ الخياباني التبريزي رحمه الله، المولود سنة (١٢٩٦هـ)، والمتوفى سنة (١٣٧٣هـ)، مؤرخ وأديب، من آثاره: (وقائع الأيام) في عدة مجلدات، و(منتخب المقاصد ومنتجب الفوائد) في ستة مجلدات، و(ريحانة الأدب)، وغيرها من الكتب.

(٢) هو الميرزا عبد الحسين خان بن الميرزا محمد حسين بن عبد الكريم الزنوزي التبريزي رحمه الله مؤلف كتاب (مطارج الأنظار في طبقات أطباء الأعصار)، وكتاب (تاريخ تبريز).

ها علي بشر كيف بشر
هو والمبدأ شمس وضياء
أذن الله وعين الباري
علة الكون ولولاها لما
فلك في فلك فيه نجوم
جنس الأجناس علي وبنوه
كل من مات ولم يعرفهم
قوسه قوس صعود ونزول
ما رمى الرمية إلا وكفى
أسد الله إذا صال وصاح
بو تراب وكنوز العالم
من له صاحبة كالزهراء
أيها الخصم تذكر سندا
إذ أتى أحمد في خم غدير
قال: من كنت أنا مولى له

رئهُ فيه تجلّى وظهر
هو والواجب شمس وقمر
يا له صاحب سمع وبصر
كان للعالم عين وأثر
صدف في صدف فيه درر
نوع الأنواع إلى حادي عشر
موته موت حمار وبقر
سهمه سهم قضاء وقدر
ما غزا الغزوة إلا وظفر
وأبو الأيتام إذا جاد وبر
عنده نحو تراب ومدر
أو سليل كشبير أو شبر
متنه صح بنص وخبر
بعلي وعلى الرجل نبر
فعلي له مولى ومضر^(١)

والمعروف أنه بعد نظمه هذه القصيدة رأى في عالم الرؤيا
الرسول الأكرم ﷺ ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام معه جالسا ، فقال
النبي ﷺ للملا مهر علي : «القصيدة التي قلتها في مدح ابن
عمي أنشدنيها».

(١) راجع اللمعة البيضاء: ص ٥١٧.

فأخذ الملا مهر علي يقرأ، فلما أنشد المقطع الأول،
قال النبي ﷺ : ثلاث مرات : «كيف بشر؟ كيف بشر؟ كيف
بشر؟». وكانت هذه القصة مصداقاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام :
«بالإخلاص ترفع الأعمال»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٥٥ ح ٢٩١١.

ساكتب لك حوالة

كان أحد الشعراء قد نظم قصيدة شعرية في مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وقصد السلطان شاه عباس الصفوي^(١) وقرأها بحضوره، ولما كان الشاه عباس قد استولى عليه الغضب نتيجة أمر من أمور الدولة ومشاكلها، لم يعط للشاعر صلة، وقال له: خذ صلتك من علي عليه السلام.

فقال الشاعر: لا بأس، إنني أخطأت عندما قرأت لك أشعاري. وكلّما ألحّ الشاه عباس بعد ذلك وأصرّ على الشاعر أن يقبل صلته، رفضها وامتنع عن قبولها.

ثم إن الشاعر عزم على السفر إلى النجف الأشرف حافياً، ومع كل الصعوبات التي لقيها في أثناء الطريق، تشرف بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: يا أمير المؤمنين! لا أريد أن أنشد

(١) هو الشاه عباس الصفوي المولود سنة (١٥٧١هـ) وهو من أولاد السلطان محمد المكشوف المعروف بـ(خداي بنده)، وهو الذي ضم ولاية بغداد وكربلاء والنجف والموصل وديار بكر، وعقد صلحاً مع العثمانيين، وانصرف إلى تنظيم الدولة وإنشاء الجسور والمساجد، وأكرم العلماء وأحسن السياسة، ونقل العاصمة من قزوین إلى أصفهان، وكان من محبي آل البيت ويعظم الشعائر، وهو الذي بنى ورمم صحن الإمام علي عليه السلام وهو الذي أمر الكافي بشرح كتاب (الاصافي) فشرح فيه جميع أبواب الأصول والفروع في مدة عشرين سنة، توفي الشاه عباس سنة (١٦٢٩هـ).

أشعاري بحضرتك ، لأنك أعلم بها ، وكن على يقين أنني لن أبرح من مكاني هذا ما لم أنل الصلة منك ، ولو طال بي المقام في حرمك حتى الموت ، واستمر به هذا الحال إلى منتصف الليل وهو يبكي ويخاطب الإمام عليه السلام حتى أخذه النوم ، فرأى في عالم الرؤيا أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطاه ورقة مكتوب عليها بخطه الشريف المبارك : « هذه حوالة إلى سفير سلطان الفرنج في بغداد ، تسلمها له ، وتأخذ صلتك » .

فلما انتبه من نومه ، رأى الحوالة في يده ، ففرح بها ، وجاء إلى بغداد ليسأل عن السفير ، فأعلموه بمكانه ، فجاء ودخل دار السفير ، فرأى السفير ينتظره ، فسلمه الحوالة فسرَّ السفير بها وقبلها ووضعها على عينه ، وقال : على عيني ، إن للحضرة المباركة أمانة عندي ، فأتى بإناء مملوء بالمجوهرات وقدمه للشاعر ، وقال : هذه قصتي : كنت في أحد الأيام ذاهباً للتجارة ، فلما ركبنا الباخرة ، أخذ الموج يتلاطم في وسط البحر ، فبقينا على قيد الحياة بعد أن أوشكنا على الموت غرقاً ، ومضت مدة حتى تلفت أرواح من بقي في السفينة نتيجة الجوع ، فرأيت نفسي مشرفاً على الهلاك ، فناديت يا علي ! وإذا أنا براكب على سطح الماء وقد جاء بي وبالباخرة على ساحل البحر ، وهو يقول : « كل هذه الأموال في الباخرة هي لك » ، فأخذت الإناء المملوء بالمجوهرات ، لأعطيه إلى الحضرة المباركة ، فقال عليه السلام : « احتفظ بها سأكتب لك حوالة » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قَدِّمُوا خيراً تَغْنَمُوا، وأَخْلَصُوا أَعْمَالَكُمْ تَسْعَدُوا»^(١).

أي أن هناك علاقة حميمة بين العمل والسلوك من جهة، والجزاء من جهة أخرى، ومن يتوخى الخير لا يمكن أن ينال الشر، وإن من يزرع عنباً لا يمكن أن يحصد شوكتاً، وكذلك من يحسن فلن ينال إلا الإحسان، ومن يعط فلن يجازى بالبحود، ومن يخلص فلن يجازى بالخيانة، إنما يكافأ الإحسان بالإحسان ويجازى المعطي بالشكر، والمخلص بالمكافأة الجزيلة، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٥.

(٢) سورة الرحمن: ٦٠.

استح من وجه علي عليه السلام

أنشد الناجي قصيدة في مدح أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وفي إحدى الليالي رأى في عالم الرؤيا أنه تشرف بلقاء الحضرة المقدسة، والإمام عليه السلام يقول له: «القصيدة التي أنشدتها في أقرأها علي».

فأخذ الناجي يقرأ أشعاره وكله شوق ولهفة، وفي الختام أضاف اسمه إلى تلك الأشعار، قائلاً: (ما مضمونه)

يا ناجي! إذا كان حساب الحشربيد علي عليه السلام
فاسمع مني وأكثر من ذنوبك مهما استطعت^(١)
فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كل ما قلته جيد، ولكن عليك
بإصلاح آخره وليكن هكذا: (ما مضمونه)

يا ناجي! إذا كان حساب الحشربيد علي عليه السلام
فاستح من وجه علي عليه السلام وقلل من ذنوبك^(٢)

(١) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

« ناجي احذر معاملته حشربا علي است
از من شنو هر آنچه تواني كنائ كن

(٢) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

ناجي احذر معاملته حشربا علي است
شرم از رخ علي كن وكمتر كنائ كن

لك علينا حقان ...

كان المولى حسن الكاشي^(١) من المعاصرين للعلامة الحلبي^(٢) صاحب (العقود السبعة) في مدائح أمير المؤمنين عليه السلام باللغة الفارسية، عاش في عهد دولة السلطان محمد خدائي بنده^(٣). وكان هذا المولى الجليل من شعراء مجلس السلطان محمد

(١) المولى حسن الكاشي الأصل الآملي مآدح أهل البيت عليهم السلام أصله من كاشان ومولده ومسكنه في (آمل)، من أهل أواخر المائة السابعة أو أوائل الثامنة، ولم يعلم تاريخ وفاته، قبره على المشهور في حجرة وراء الشباك المشرف على السوق العتيق بالكاظمية قريباً من المقبرة المشهورة للسيد المرتضى، وهو من مشاهير شعراء الفرس، فاضل محقق مدقق شاعر منشئ ماهر جليل القدر نشر مذهب الشيعة، وهو من معاصري العلامة الكاظمي، راجع الذريعة: ج ٢ ص ٣٩١.

(٢) هو العلامة الحسين بن يوسف بن المطهر الحلبي الأسدي عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، كان آية في الذكاء، شرح مختصر ابن الحاجب شرحاً جيداً سهل المآخذ غاية في الإيضاح، واشتهرت تصانيفه في حياته، رافق السلطان محمد خدابنده مدة من حياته، وعلى يديه انتشر مذهب الإمامية انتشاراً واسعاً في بلاد فارس، انقطع عليه السلام آخر عمره إلى الحلة موطنه الأصلي وتوفي فيها عن ثمانين سنة في محرم عام (٧٢٦هـ).

(٣) هو السلطان محمد خدابنده أوجاتيو، المتوفى سنة (٧١٧ أو ٧١٩هـ)، كان ذا صفات جليلة وخصال حميدة، وفقه الله لاعتناق مذهب الإمامية بعد مناظرة جرت في حضرته بين علماء العامة والعلامة الحلبي، وبذلك انتشر مذهب التشيع في بلاد فارس، وللمزيد راجع إيضاح الاشتباه للعلامة الحلبي: ص ٤٢.

المعروف بـ(شاه خدای بنده)، وله حكايات ومواقف لطيفة ومباحثات طريفة مع المخالفين تشهد بعلو منزلته وارتفاع درجته وعمق فلسفته.

ذكره السمرقندي في كتابه الموسوم بـ(التذكرة الدولتशाहीه) فقال بعد وصفه البالغ بالفضل والتقوى والورع والولاية الثابتة: إن المولى حسن المذكور لم ينشد أبداً في غير مدائح أهل البيت المعصومين عليهم السلام، وأنه لما رجع من زيارة الحرمين الشريفين قصد طريق العراق، وتوجه إلى زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمام باب الحضرة، وأنشد إحدى قصائده.

فلما أقبل الليل رأى أمير المؤمنين عليه السلام في النوم يقول له: «يا كاشي! قدمت إلينا من بعيد، ولك علينا حقان: حق الضيافة، وحق صلة أشعارك، فأخرج أنت في هذه الساعة إلى مدينة البصرة. واطلب هناك رجلاً تاجراً، يدعى مسعود بن أفلاح، ثم بلغ إليه سلامنا، وقل له: إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول لك: إنك قد نذرت لنا في هذه السنة عند خروجك إلى عمان أن تصرف إلينا ألف دينار، لو خرجت سفينة متاعك إلى ساحل البحر بالسلامة، فأوف لنا بعهدك، وخذ عنا تلك الدنانير من ذلك الرجل، واصرفها في محايييك».

فلما ورد المولى حسن إلى البصرة وقابل الرجل المذكور، وقص له الحكاية، كاد أن يغشى عليه فرحاً، وقال: بعزة الله لم أخبر أحداً إلى الآن من حقيقة عهدي المذكور، ثم سلمه الألف

دينار، وزاد عليها شكراً على هذه النعمة العظيمة خلعة فاخرة للمولى حسن الكاشي، ووليمة لسائر فقراء البلاد. وهذا الأمر ليس غريباً ولا عجيباً، فإن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام يقول: «أخلص نل»^(١).

ونستخلص من هذا أن المخلص حتى وإن لم يكن يضع نصب عينيه نيل الجائزة، وحتى لو كان لا يهتم سوى إنجاز العمل وإتقانه، لكان الأمر يقتضي مكافأته على إخلاصه لكي يتلمس صواب سلوكه، ثم إن المكافأة - معنوية كانت أم مادية - ستحفز المخلص على تكرار سلوكه والمثابرة عليه، كما أنها تظهر البون الشاسع والهوة الكبيرة بين من أخلص في سلوكه إلى الله تعالى وإلى أوليائه، وبين من خان وأساء، ولو حدثت المساواة بين المخلص والخؤون لثبطت عزيمة المخلص ولتشجع الخؤون على الخيانة، فيشيع المرض في المجتمع على العافية.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١١.

استعد واقرأ

نقل أحد العلماء كرامة للمولوي الشيخ محمد حسن القندهاري^(١) بسبب تضمين القصيدة الغديرية للملا مهر علي الخوئي.

قال: كنت أسكن مشهد الإمام الرضا عليه السلام المقدس، ومن الملازمين للمرحوم الشيخ علي أكبر النهاوندي^(٢)، وغيره من الشيوخ، فأرسلوني إلى باكستان وقندهار. وفي إحدى الليالي وأثناء رجوعي إلى المشهد المقدس، دخلت

(١) هو الشيخ محمد حسين بن المرحوم الحاج محمد معصوم القندهاري رحمته الله القزويني الأصل الحائري المنشأ والتحصيل، والشيرازي الموطن والخاتمة، كان فاضلاً نبلاً ومجتهداً جليلاً، له مؤلفات عديدة منها: (مصاييح الهداية في شرح البداية)، (رياض الشهادة في ذكر مصائب السادة) و(نور العين) ويشتمل على ٤٠ مجلداً في ذكر آل البيت عليهم السلام.

(٢) هو الشيخ المولى علي بن فتح الله النهاوندي النجفي رحمته الله، علامة كبير ومحقق جليل، لازم في النجف الأشرف العلامة الشيخ مرتضى الأنصاري رحمته الله، ثم سافر إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام فبقي هناك ملازماً درس الشيخ نصر الله الشيرازي، وبعد فترة عاد إلى النجف الأشرف وعقد حلقة درس خاصة به، وكان من أجل تلامذته الميرزا حبيب الله الرشتي رحمته الله. هذا وقد ابتلي أواخر عمره بمرض البواسير والرعشة وكان مع تلك الحالة في غاية الاحتياط، واشتد به المرض فترك الدرس ولازم بيته إلى أن توفي سنة (١٣٠٨ هـ)، له كتاب (تشریح الأصول الصغير) وكتاب (تشریح الأصول الكبير) وكتاب (رواشح الأصول).

مسجد كوهر شاد ، وقد حان وقت أذان المغرب ، وكان الشيخ علي أكبر النهاوندي مشغولاً بالصلاة ، وعند فراغه من الصلاة تقدمت إليه وسلمت فأخذ يسأل عن أحوالي ، وفي هذه الأثناء وقف المرحوم الحاج قوام اللاري لقراءة عزاء الإمام الحسين عليه السلام ، وفي المقدمة أنشد هذا البيت الذي لم يطرق مسامعي من قبل :

ها علي بشركيف بشر ربه فيه تجلى وظهر
فتغير حالي ، وكنت أستمع لكلام الحاج الشيخ علي أكبر
النهاوندي بأذن ، والأذن الأخرى أستمع بها لكلام الحاج
قوام ، فرجعت إلى البيت بعد أن اهتز كياني وانقلب وضعي ،
وكنت لوحدي ، فتناولت قلمي واستجمعت أفكاري ثم دونت
تلك الأشعار .

ومرّت أربع سنوات ، ولم أعرف هل هذا المدح مقبول أم لا ؟ ،
وكنت في أحد الأيام نائماً بعد الصلاة ، فرأيت في عالم الرؤيا
كأنني تشرفت بزيارة كربلاء المقدسة ، فدخلت الرواق المبارك ،
وكانت أبواب الحرم المطهرة مغلقة ، وكان الزوار بين الرواق
مشغولين بقراءة زيارة وارث .

فامتلات غماً بسبب غلق الأبواب ، فسألت : هل تفتح
الأبواب ؟ قيل لي : نعم ، بعد ساعة واحدة ، لأن العلماء
والمجتهدين الأولين منهم والآخرين الآن في حرم حضرة سيد
الشهداء عليه السلام وهم مشغولون بإنشاد المدائح .

وفي عالم الرؤيا ذهبت إلى جهة المقتل ، فلم يهدأ قلبي ،

فقصدت جهة الشباك الذي يعلو الرأس المبارك، ونظرت من خلاله، فرأيت العلماء، وقد تعرفت على عدد منهم، ومن جملتهم:

المرحوم العلامة المجلسي^(١)، والملا محسن الفيض الكاشاني^(٢)،
والسيد إسماعيل الصدر^(٣)، والميرزا محمد حسن الشيرازي^(٤)،

(١) هو العلامة محمد باقر بن مقصود علي الأصفهاني الملقب بالمجلسي رحمته الله، من مشاهير العلماء والمحدثين ومن كبار فقهاء الشيعة، كانت إليه زعامة الحوزات العلمية على عهد الصفوية، عمدة كتبه كتاب (بحار الأنوار)، ولد سنة (١٠٣٧هـ=١٦٢٧م)، وتوفي سنة (١١١١هـ=١٧٠٠م)، ودفن في الجامع العتيق في مدينة أصفهان.

(٢) هو العالم الفاضل المولى محمد المحسن بن المرتضى الفيض الكاشاني رحمته الله مؤلف كتاب (الوافي) و(مفاتيح الشرائع) و(المحجة البيضاء) وغيرها، ومن تلاميذ السيد ماجد البحراني في الفقه والحديث، ولد سنة (١٠٠٧هـ)، وتوفي سنة (١٠٩١هـ).

(٣) هو السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين العاملي رحمته الله، من أعظم العلماء وأكبر المراجع، ولد في أصفهان سنة (١٢٥٨هـ)، ونشأ فيها، وتعلم على يد العلامة الشيخ محمد باقر الأصفهاني، وسافر إلى النجف عام (١٢٧١هـ)، ثم هاجر إلى سامراء عام (١٣١٤هـ)، توفي عام (١٣٣٨هـ) ودفن في الكاظمية.

(٤) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي رحمته الله، المشهور بالمجدد، عميد أسرة الشيرازي، ولد في ١٥ جمادى الأولى (١٢٣٠هـ)، هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٢٥٩هـ) ثم إلى سامراء (١٢٩١هـ). تتلمذ عند العلماء الأعلام أمثال السيد حسن المدرس والمحقق الكلباسي وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري. آلت إليه المرجعية سنة (١٢٨١هـ) بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري. قارع الاستعمار البريطاني في ثورته المعروفة (التبناك) والتي أيقظت العالم الإسلامي وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث، فقد تنبه المسلمون بفضلها إلى الأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في بلادهم. ووقف كذلك بوجه الفتنة الطائفية التي أحدثها ملك

والشيخ جعفر الشوشتری^(١) (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).
كان الحرم المطهر مملوءاً بالزائرين ، وكلهم مجتمعون حول
الضريح المقدس وخلف الشباك ، وكان هؤلاء يرأسهم المرحوم
السيد حسين القمي رحمته الله^(٢) ، فيأمر أن يتقدم شخص ما ويقرأ ،
وبعد انتهاء القراءة يقول له الآخرون : أحسنت ويكون .
فرأيت عدداً منهم قد صعدوا عالياً وقرأوا ثم نزلوا .
وفي نفس عالم الرؤيا تصرفت كالصبيان وأدخلت نفسي في
الشباك حتى تسللت إلى داخل الحرم المطهر ، ولم يكن هناك من
مكان إلا بجانب السيد القمي رحمته الله ، فاضطرت أن أجلس هناك ،
وكنت وكيلاً للسيد القمي عندما كان في المشهد المقدس .

→ أفغانستان عبد الرحمن خان حيث أخذ يقتل الشيعة ويجعل من رؤوسهم منائر في
كل مكان . وقد تسالم المؤرخون على وصفه : إماماً عالماً فقيهاً ماهراً محققاً رئيساً
دينياً عاماً وورعاً نقياً ، ثاقب الفكر ، بعيد النظر ، مصيب الرأي ، صائب الفراسة ،
يوقر الكبير ويحنو على الصغير ، ويرفق بالضعيف ، أعجوبة في أحاديثه وسعة مادته
وجودة قريحته .

(١) هو الشيخ جعفر بن المولى حسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين رحمته الله الشهير
بالتجار ، وسمي بالشوشتری نسبة إلى مدينة (شوشتر) الإيرانية والتي يسميها العرب
(تستّر) ، من أعظم علماء عصره وأجلهم فقهاً ودينياً ، من كتبه : (منهج الرشاد) ،
(الخصائص الحسينية) ، و(فوائد المشاهد) ، توفي عام (١٣٠٣هـ) في كرنه ، ونقل
إلى النجف الأشرف .

(٢) هو آية الله العظمى المرحوم السيد آغا حسين القمي رحمته الله ، المولود سنة (١٢٨٢هـ) ،
فقيه متضلع وأصولي بارع وزعيم روحي ، ومن مراجع التقليد الأفاضل ، توفي يوم
١٤ / ربيع الأول (١٣٦٦هـ) .

فلما رأيته ، قال لي : مولوي حسن !
قلت : نعم سيدي ! فقال : استعد واقرأ .

فكأنني وقعت من مكان عال ، فإن هذا أمر الإمام وليس لي
حيلة ؟ ! وأنا بحضور كل هؤلاء العلماء الأعلام ، أي آية أعنون ؟
وأي حديث أطبق ؟ كيف أستطيع الكلام ؟ وبماذا يلهج لساني ؟
فوقع في قلبي إلهام غيبي ، فقرأت :

ها علي بشر كيف بشر ربه فيه تجلى وظهر
عقل كليه به ما داد خبر^(١) أنا كالشمس علي كالقمر
فقرأت الأشعار حتى أتيت على آخرها ، فلما انتبهت من
نومي ، حمّ قلبي وأخذ العرق يتفصّد مني ، وكأنني كنت فارقت
الحياة ، فشكرت الله وحمدته على العناية الربانية التي حصلت لي
بقبول مديحي .

كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من أخلص بلغ الآمال »^(٢) .

(١) مضمون هذا البيت :

ان عقل الكل (يقصد الرسول الكريم ﷺ) اعطانا الخبر

بأنه الشمس وان أمير المؤمنين عليه السلام هو القمر

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩١٧ .

الزهراء عليها السلام تنظم مطلع القصيدة

يروى عن السيد حيدر الحلي رحمته الله ^(١) أنه قال: تشرفت في عالم الرؤيا بلقاء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فسلمت عليها، وردت علي السلام، ثم رفعت عليها السلام رأسها الطاهر، وأنشدت هذا البيت من الشعر:

أَنَاعِي قَتَلَى الطُّفْ لَا زِلْتَ نَاعِيَا

تَهِيحُ عَلَى طُولِ اللَّيَالِي الْبَوَاكِيَا

فشرعت في البكاء، واستيقظت من نومي وأنا أكرر هذا

البيت، حتى ألهمني الله تعالى لأكمله، وشرعت أقول:

اعِدْ ذِكْرَهُمْ فِي كَرِيْلَا إِنْ ذِكْرَهُمْ

طَوَى جَزَعًا طَيَّ السَّجَلُ فُؤَادِيَا

إلى آخر الأبيات التي نظمتها، وهي من القصائد التي أوصيت

(١) هو العلامة السيد حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان بن داود رحمته الله المنتهي نسبه

إلى زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، المعروف بـ(حيدر الخلي)، كان فاضلاً أديباً شاعراً متميزاً في نظمته، موصوفاً بالديانة والعفة، متوقد الذهن ذكي الفطنة. كان عالماً جليلاً وشاعراً مجيداً وكان سيد الأدباء في عصره ولا تخلو قصائده من توسل بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام منها:

مَاتَ التَّصَبُّرُ فَمَا انْتَهَى رُكَّ أَيُّهَا الْمَحْيِي الشَّرِيعَةَ

فَأَنْهَضَ فَمَا أَبْقَى التَّحَمُّلُ غَيْرَ أَحْشَاءٍ جَزُوعَةَ

ولد بالحلّة سنة (١٢٤٠هـ) تقريباً، وتوفي فيها سنة (١٣٠٤هـ) وحمل إلى النجف الأشرف فدفن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف.

أن توضع في كفني.

كما أنه يروى عنه أنه كان ينظم في كل عام قصيدة واحدة فقط ، وحين ينتهي من نظمها يتوجه بها من مدينته الحلة إلى كربلاء ماشيا على قدمه ليقرأها عند ضريح سيد شباب أهل الجنة. وفي إحدى السنين وبينما هو سائر في طريقه إلى كربلاء المقدسة صادفه رجل قائلاً له : أريد منك أن تقرأ لي قصيدتك العينية ، فقرأ له السيد الحلبي إحدى قصائده ، لكن الرجل طلب قصيدة عينية غيرها ، فقرأ السيد غيرها ، وغيرها ، وغيرها حتى أتى على كل قصائده المنتهية بحرف العين ، والرجل يطلب منه المزيد ، ولم تبق لدى السيد إلا القصيدة التي كتبها هذا العام والتي كان يحملها معه ليقرأها عند ضريح الحسين عليه السلام ، فقرأها وقد نسي في تلك اللحظة أن هذه القصيدة جديدة ولم يسمعها أحد من قبل ، وقد كان الرجل يستمع إلى القصيدة بتلهف شديد وكانت دموعه تسيل على خيته أثناء إنشاد السيد لها. وحين انتهى السيد من القراءة شكره ذلك الرجل وانصرف عنه ، وبعد فترة قصيرة تذكر السيد أن هذه القصيدة لم يسمعها أحد من قبل فكيف طلب هذا الرجل سماعها ، فطلبه فلم يجده ، فعرف أنه الإمام المهدي عليه السلام ، جاء لسمع هذه القصيدة.

والقصيدة في غالب أبياتها تتوجه إلى الإمام صاحب الزمان عليه السلام مطالبة إياه بالقيام والنهوض بأمر الإسلام والمسلمين وتحقيق الوعد بإقامة دولة تعز الإسلام وأهله ، ومما جاء في هذه القصيدة قوله :

اللَّهُ يَا حَامِيَ الشَّرِيعَةَ أَ تَقْرُ وَهِيَ كَذَا مَرُوعَةٌ
 بِكَ تَسْتَفِثُ وَقَلْبُهَا لَكَ عَنْ جَوَى يَشْكُو ضُلُوعَهُ
 تَدْعُو وَجُرْدُ الْخَيْلِ مُصْرَ غِيَّةٌ لِدَعْوَتِهَا سَمِيعَةٌ
 وَتَكَادُ السِّنَةُ السُّيُ فَ تَجِيبُ دَعْوَتَهَا سَرِيعَةٌ
 فَصُدُورُهَا ضَاقَتْ بِسَرِّ الْمَوْتِ فَأَذُنُ أَنْ تُذِيعَهُ

ويستمر السيد في استنهاض الإمام عليه السلام فيقول:

مَاتَ التَّصَبُّرُ فِي انْتِظَا رَكَ أَيُّهَا الْمَحْيِي الشَّرِيعَةَ
 فَانْهَضْ فَمَا أَبْقَى التَّحَمُّ لَ غَيْرَ أَحْشَاءٍ جَزُوعَةً
 قَدْ مَزَقَتْ ثُوبَ الْأَسَى وَشَكَتْ لِوَاصلِهَا الْقَطِيعَةَ
 كَمْ ذَا الْقُعُودُ وَدَيْنُكُمْ هُدِمَتْ قَوَاعِدُهُ الرُّفِيعَةَ

ويعرض السيد الحلي المآسي والنكبات التي مني بها الإسلام
 وابتلي بها المسلمون، حتى يُعرج إلى مصيبة سيد الشهداء الإمام
 الحسين عليه السلام الخالدة في دنيا الأحزان، فيقول:

أَ تُرَى تَجِيءُ فَجِيعَةٌ بِأَمْضٍ مِنْ تِلْكَ الْفَجِيعَةِ
 حَيْثُ الْحُسَيْنُ عَلَى الثَّرَى خَيْلُ الْعِدَى طَحَنَتْ ضُلُوعَهُ
 وَرَضِيعُهُ بِدَمِ الْوَرَى لِمِ مَخْضَبٍ، فَأَطْلُبْ رَضِيعَهُ

قصره مقابل قصورنا

حكى شخص من أهل البحرين قال: كنت جالساً في ليلة التاسع من محرم الحرام في أحد مجالس العزاء، وكنت أبكي لمصائب حضرة سيد الشهداء عليه السلام، حتى ضعفت قوتي، فجلست في زاوية من زوايا المجلس حتى غلبني النوم.

وفي عالم الرؤيا رأيت نفسي وكأنني في بستان كبير فيه أنواع الأشجار والزهور والفواكه، فوق نظري علي طير فوق غصن الشجرة، وهو يصرخ ويضج بصوته كأنه امرأة مكلومة، فقلت: سبحان الله! كيف يصرخ هذا الطير؟ ثم ابتعدت عن الطير لأن صوت صراخه قد قطع نياط قلبي، فرأيت امرأة مجللة جالسة بجانب حوض، ويدها ثوب أبيض ممزق قطعة قطعة، وهي تغسل الدم في ذلك الثوب، وتنظر إلى آثار السهام والسيوف فيه، وعيناها تذرفان الدموع، وتقول: «أبه! ألم تر كيف فعلت أمتك بنا؟ ضيعوا حقنا، كسروا ضلعي، ألم يكونوا قد دعوا ولدي إلى الكوفة، وذبحوه عطشاناً»، ثم قالت: «أي بني! لم لم تعرفهم نفسك؟ لعلهم لم يعرفوا جدك وأباك».

فالتفت فإذا أنا بجسد مقطوع الرأس، عليه جبة من الخنز،

والدم يسيل منه ، وهو يقول : «أماء ! وحقك أقسمت عليهم ، ولكن لم يراعوا لنا حرمة ! منعوا عنا ماء الفرات الذي ترد منه الكلاب والخنازير».

فتقدمت إليها ، وقلت لها : من أنت ؟ وما هذا البدن بدون رأس ؟ قالت : «أنا فاطمة أم الحسين بنت رسول الله وهذا البدن لولدي الحسين».

ثم رأيت نساءً قد جئن وجلسن حول البدن ، فقلت : ما هذا القميص الممزق ولن ؟ فقالت عليها السلام : «كلما أردت أن أبكي ولدي الحسين أخرج هذا القميص ، وحالي هذا إلى يوم القيامة».

فقلت لها : يا سيدتي ومولاتي ! إن والدي كان يقول الشعر فيك وفي ولدك الحسين عليه السلام ، وكان ينشد المراثي ويقيم العزاء ، فكيف جازاه الله ؟

قالت عليها السلام : قصره مقابل قصورنا ، وأبوك قاتل هذا الشعر :

أَيُّهَا الشَّيْعِيُّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْمُسْتَضَامِّ

لَا تَمَلِّ النُّوحَ فَيَمُنَ جَدُّهُ خَيْرُ الْأَنَامِ

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : «ملوك الجنة الأتقياء والمخلصون»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩٢٠.

عليك أن تبدأ بالحسن عليه السلام

حكى عن وصال الشيرازي^(١) : أنه راجع طيب العيون لمرض أصاب عينه ، فأوضح له الطبيب إمكانية العلاج شريطة أن يعزف تماماً عن القراءة ومزاولة أعمال الكتابة والنظم والخط حمايةً واهتماماً بعينه ، فعالجها الطبيب ، إلا أن وصال أخذ يقرأ ويضاعف مهاراته الأدبية حتى عميت عينه تماماً ، مما اضطره أن يتوسل بمحمد وآل محمد عليهم السلام .

وفي إحدى الليالي تشرف في عالم الرؤيا بلقاء النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول له : «لماذا لم تنشُد مرثيةً في مصائب الحسين عليه السلام ؟ قل ، حتى يشفي الله تعالى عينك» ، وفي نفس الوقت حضرت فاطمة الزهراء عليها السلام وقالت : «يا وصال ! لو قلت شعراً في ولدي

(١) وهو الميرزا محمد شفيع بن محمد مقيم الشيرازي رحمته الله المعروف بـ(وصال) المولود سنة (١١٩٧هـ) والمتوفى سنة (١٢٦٢هـ) في شیراز ، كان من أعظم الشعراء ومشاهير الأدباء في عصر السلطان فتح علي شاه القاجاري الذي تولى الحكم من عام (١٢١١هـ) وحتى وفاته عام (١٢٥٠هـ) ، وكان وصال فضلاً عن مراتبه العلمية الظاهرية والباطنية ، ذا مهارة وإتقان بالخطوط السبعة : النسخ ، والنستعليق ، والثلاث ، والرقعة ، والريحان ، والتعليق ، والكوفي ، وكان قد كتب كتباً كثيرة بخطوط مختلفة ، روي : أنه كتب (٦٧) مصحفاً بخطه الجميل .

الحسين عليه السلام، فعليك أن تبدأ بولدي الحسن عليه السلام، لأن الحسن مظلوم أيضاً».

فلما أصبح وصال أخذ يطوف حول البيت واضعاً يده على الجدار، وهو ينشد شعراً هذا مضمونه:

خارت قواه وارتفع أنينه ودعا بطست

جعل ذلك الطست من كبده بستانا^(١)

فلما أنشد عجز هذا البيت رد إليه بصره، ثم قال ما ترجمته:

الدم الذي ملأ أحشاءه نتيجة المصائب سال

فأصبحت خالية بعد امتلائها خلال حياته

ألقت زينب بخمارها وتأوهت من كبدها لشدة

ولطمت كلثوم صدرها وتأوهت من الألم^(٢)

(١) أصل البيت باللغة الفارسية هو:

در تاب رفتم و طشت به بر خواند و ناله کرد
آن طشت را زخون جگر باغ لاله کرد

(٢) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

خونی که خورد در همسه عمر از گلو بریخت
دل را تهمی زخون دل چند ساله کرد
زینب کشید معجزه واه از جگر کشید
کلثوم زد به سینه و از درد ناله کرد

(أحسننت) .. بماء الذهب

ذكر الشيخ الأمين بالله (١) للخليعي بالله (٢) شعراً كثيراً وقال في كتابه (الغدير): له (٣٩) قصيدة في أهل البيت بالله. كان أبو الحسن جمال الدين من شعراء أهل بيت الرسالة بالله ومادحيهم، وقد ولد لأبوين نصبا العداء لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة بالله، وكانت أمه قد نذرت أنه إذا منّ الله عليها بولد، أن ترسله لقطع طريق زوّار الإمام الحسين عليه السلام وقتلهم، فلما أتت بالولد وبلغ سن الرشد، أرسلته لتفي بنذرهما. وبينما هو في نواحي مدينة المسيب القريبة من كربلاء المقدسة،

(١) العلامة الشيخ عبد الحسين بن أحمد الأميني (١٣٢٠-١٣٩٠هـ)؛ مؤرخ أديب من فقهاء الإمامية، مولده ووفاته بإيران، نشأ وأقام بالنجف الأشرف وأسس فيها مكتبة عامة كبرى وسماها بـ (مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام)، وصنف كتباً مطبوعة، منها: (شهداء الفضيلة) و(الغدير) و(أدب الزائر) و(رياض الأنس) في التفسير و(سيرتنا وستتنا).

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليعي الموصلّي الحلي، توفي في حدود سنة (٨٥٠هـ) بالحلة وله قبر يزار، كان فاضلاً مشاركاً في الفنون، أديباً شاعراً. له ديوان ليس فيه إلا مدح الأئمة بالله، أصله من الموصل وسكن الحلة ومات بها ودفن في إحدى بساتين (الجامعين) بين مقام الإمام الصادق عليه السلام وقبر رضي الدين بن طاووس على مقربة من باب النجف الذي يسميه الحليون (باب المشهد) وعلى قبره قبة بيضاء. راجع كتاب الغدير: ج ٦ ص ١٢.

وقد نصب كميناً للزوار ، غلبه النعاس فأخذته سنة من النوم ،
ومرت القوافل بسلام وأمان من كمينه الذي نصبه ، وتركوا على
بدنه وثيابه بقايا تراب وغبار القوافل ، فرأى في المنام أن القيامة قد
قامت ، وصدر الأمر بإلقائه في النار ، ولكن النار لم تمس ذلك
الغبار ولم تحرقه .

فلما انتبه الخليعي من نومه ، رجع عما كان عليه وتاب توبةً
نصوحاً ، واستقرت مودة وولاية أهل البيت عليهم السلام في قلبه ،
وقصد حرم الإمام الحسين عليه السلام خائفاً ، وهو ينشد هذين البيتين :

إِذَا شِئْتَ النَّجَاةَ فَزُرْ حُسَيْنًا

لِكَيْ تَلْقَى إِلَهَ قَرِيرَ عَيْنٍ

فَإِنَّ النَّارَ لَيْسَ تَمَسُّ جِسْمًا

عَلَيْهِ غُبَارُ زُورِ الْحُسَيْنِ ^(١)

قال العلامة النوري ^(٢) في كتاب (دار السلام) : لما دخل
الخليعي حرم الإمام الحسين عليه السلام وأنشد قصيدته ، سقطت الستارة
في أثناء الإنشاد من درب الحرم من جهة الروضة الحسينية على
كتفه ، ومنذ ذلك اليوم لقب الشاعر بالخليعي وهذا اللقب قد
اختص به في أشعاره .

(١) راجع كتاب الغدير : ج ٦ ص ١٢ .

(٢) راجع كتاب دار السلام : ص ١٨٧ ، والغدير : ج ٦ ص ١٣ .

وروي: أنه كان بين الخليعي والشاعر ابن حماد^(١) مفاخرة، وكان كلُّ منهما يظنُّ أن مدحه لأmir المؤمنين عليه السلام أكمل وأفضل من صاحبه، فكتب كل منهما قصيدته ووضعها القصيدتين في الضريح العلوي المقدس، حتى يقضي بينهما الإمام عليه السلام، فخرجت قصيدة الشاعر الخليعي، وقد كتب عليها بماء الذهب: (أحسنْتَ)، كما كتب على قصيدة ابن حماد: (أحسنْتَ) بماء الفضة. فتأثر ابن حماد من هذا الموقف، ووجه خطابه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: أنا قديم المحبة إليكم، وهذا الشخص دخل لتوّه في زمرة المحبين، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في منامه، وهو يقول له: «أنت منا كما ذكرت، في حين أنه ارتبط بنا، ودخل في ولايتنا جديداً، فاللازم مراعاة حاله».

وللخليعي في رثاء سيدة نساء العالمين عليها السلام:

لَمْ أَبْكِ رِبْعاً لِلْأَحِبَّةِ قَدْ خَلَا
وَعَفَا وَغَيَّرَهُ الْجَدِيدُ وَأَمَحَا
كَلّاً وَلَا كَلَفْتُ صَحْبِي وَقَفْصَةً
فِي الدَّارِ إِنْ لَمْ أَشْفِ صَبّاً عَلَا

(١) هو الشيخ الجليل الأديب أبو الحسن محمد المعروف بـ(ابن حماد) من أفاضل الفحاء ومشاهير شعرائها، وكان معاصراً للخليعي الشاعر، نظم أغلب شعره في آل بيت رسول الله ﷺ، وله أكثر من مائتي قصيدة في حبهم، توفي بحدود سنة (٩٠٠هـ) ودفن في الحلة وقبره يزار وهو مجاور لقبر الخليعي.

لَكُنْ بِكَيْتٍ لِفَاطِمٍ وَلِمَنْعِهَا
 فَدَكَاً وَقَدْ أَتَتْ الْخُثُوفَ الْأُولَى
 إِذْ طَالَبَتْهُ بِإِرْثِهَا فَارَوَى لَهَا
 خَبْرًا يُنَافِي الْمَحْكَمَ الْمَتَنَزِّلَا
 ومنها:

وَمُضَلِّلٍ اضْحَى يُوطِئُ عُذْرَهُ
 وَيَقُولُ وَهُوَ مِنَ الْبَصِيرَةِ قَدْ خَلَا
 لَوْ لَمْ يُحَرِّمْ أَحْمَدُ مِيرَاثَهُ
 لَمْ يَمْنَعُوهُ أَهْلُهُ وَتَأْوَلَا
 فَأَجَبَتْهُ: إِصْرُ بَقْلَيْكَ أَمْ قَنْدِي
 فِي الْعَيْنِ مِنْكَ عَدْتُكَ تَبْصِرَةُ الْجَلَا؟
 أَوَلَيْسَ أَعْطَاهَا ابْنُ خَطَّابٍ لِحَيٍّ
 دَرَّةَ الرُّضَا مُسْتَعْتَبًا مُتَنَصِّلَا؟
 أَتُرَاهُ حَلَّلَ مَا رَأَاهُ مُحَرَّمَا
 أَمْ ذَاكَ حَرَّمَ مَا رَأَاهُ مُحَلَّلَا؟^(١)
 وله في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام:
 أَيُّ عُذْرٍ لِمَهْجَةٍ لَا تَذْنُوبُ
 وَحَشَا لَا يَشَبُّ فِيهِ لَهَيْبُ؟

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٢٥٨ وما بعدها.

وَابْنُ بِنْتِ النَّبِيِّ بِالطَّفِّ مَطْرُو
 حُ لَقَى وَالْجَبِينُ مِنْهُ تَرِيبُ
 حَوْلَهُ مِنْ بَنِي أَبِيهِ شَبَابُ
 صَرَعَتْهُمْ أَيْدِي الْمَنَايَا وَشَيْبُ
 وَحَرِيمُ النَّبِيِّ عَبْرَى مِنَ الثُّكُ
 لٍ وَحَسْرَى خِمَارُهَا مِنْهُ هُوبُ
 تِلْكَ تَدْعُو: أَخِي، وَتِلْكَ تَنَادِي:
 يَا أَبِي، وَهُوَ شَاخِصٌ لَا يُجِيبُ^(١)

فيا سبحان مقلب القلوب، ومحول الأحوال.. من ناصبي
 مبغض ذميم إلى موال محب حميم.. من كائن مفرط بالتزمت
 والضعفينة إلى كائن مولع بالمودة والانتماء.

والعجب العجاب أن هذا التحول لم يكن نتيجة حوار فكري
 وجدل مذهبي، إنما حدث بوسيلة أيسر من ذلك بكثير، كل ما
 هنالك أن هذا الناصبي القاطع للطريق راوده حلم يتعلق بيوم
 الحساب، وحين استيقظ انقلب عنده كل شيء، فلم يعد هناك
 نصب وسطو على زوار الحسين عليه السلام، بل أصبح هو بالذات من
 زوار الحسين عليه السلام ومادحيه ومحبيه.

(١) راجع كتاب الغدير: ج ٦ ص ١٣.

سقط العرش على الأرض

كان أحد الشعراء في أيام شبابه رجلاً مزاحاً وظريفاً، وفي أحد أيام شهر محرم الحرام وبدلاً من مشاركة حاضري المأتم الحسيني في البكاء، والضرب على الصدور، والانشغال في العزاء، قرأ شيئاً طريفاً عن طريق الاستهزاء، فتأثر منه المشاركون في العزاء تأثراً بالغاً وأخذوا ينتحبون بالصراخ.

ولم تمض أيام قلائل حتى ابتلي (مقبل) بمرض الجذام، لدرجة أن الناس أخذوا ينفرون منه ويتعدون عنه، ومضى على هذه الحال حتى أقبلت السنة التالية.

وشوهد (مقبل) في أحد الأيام جالساً في زاوية خربة، وقلبه مكسور يفيض ألماً، وهو يرى جمعاً من الشيعة مشغولين بالعزاء الحسيني وهم يرددون (ما ترجمته):

كيف هي كربلاء اليوم كيف هذا البلاء اليوم
رأس الحسين المظلوم قُطِعَ من بدنه اليوم^(١)

(١) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

| | |
|-------------------|------------------|
| چه بر بلاست امروز | چه كربلاست امروز |
| آز تن جداست امروز | سر حسين مظلوم |

فجاشت مشاعره وتألم في أعماقه وأخذ ينظر بحسرة إليهم،
لأنه لم يشاركهم العزاء والبكاء، وبدون إرادة أخذ يبكي، وقال
على البداة ما ترجمته :

اليوم يوم المصيبة والنفس في بليّة
صراخ وبلبلّة القيامة في كربلاء اليوم^(١)
فرأى في تلك الليلة في منامه رسول الله ﷺ، وقد شمله
بلطفه وعنايته، وعفا عن تقصيره، مما دفعه لينشد الأشعار في
مصيبة سيد الشهداء عليّ عليه السلام وأهل بيته عليه السلام.

قال مقبل : لما انتهيت من قراءة واقعة الشهادة، التي صادفت
ليلة الجمعة، ولكثرة ما قرأت وبكيت حتى غلبني النوم، رأيت في
عالم الرؤيا حرم سيد الشهداء عليّ عليه السلام، وقد نصب فيه منبر، وكان
رسول الله ﷺ حاضراً، وفي تلك الأثناء أمر رسول الله ﷺ
بإحضار محتشم الكاشاني^(٢) فجيء به إليه، فقال له ﷺ : «الليلة

(١) أصل البيتين باللغة الفارسية هو :

روز عزاست امروز جان در بلاست امروز
ففان وشور محشر در كربلاست امروز

(٢) هو الشاعر الفارسي المشهور محتشم الكاشاني رحمه الله (٩١٣ - ٩٩٦ هـ) من أشهر
شعراء الفرس في القرن العاشر، له ديوان يسمى (جامع اللطائف) مطبوع بالهند
وإيران، وقصة هذا الديوان : أن محتشم نظم قصيدة في مدح الشاه طهماسب
الصفوي وأرسلها إليه، فأرسل إليه الشاه : إنني لا يعجبني إلا ما كان في أهل
البيت عليه السلام، فنظم محتشم هذه المراثي وأرسلها إليه، فأمر له بهدية سنوية وأجزل
صلته. وقد لاقت هذه القصائد قبولا وإقبالا منقطع النظير منذ يومه وحتى اليوم،

ليلة الجمعة، اصعد المنبر وقل شيئاً في مصيبة ولدي».

فامثل محتشم أمره عليه السلام وتوجه ليصعد المنبر، وأراد أن يجلس في الدرجة الأدنى من المنبر، فأمره عليه السلام أن يعلو، ولما وصل إلى الدرجة الأخرى أمره عليه السلام أن يعلو، وهكذا كان يأمره رسول الله عليه السلام حتى ارتقى أعلى المنبر، ثم شرع بقراءة أبيات هذه ترجمتها:

لما سلكت القافلة طريقها إلى ساحة الحرب

توهمت الخيال وقوع النشور

الغزلان لا تقترب من الصحاري

غادرت الطيور وأوكارها^(١)

قال مقبل: فلما فرغ محتشم من ذكر المصيبة أهداه نبي الإسلام عليه السلام خلعة، فظننت أن أشعاري لم تلق استحسانه عليه السلام، لأنه لم يلتفت إلي، ولم يأمرني عليه السلام بالقراءة.

→ فهي في مقدمة ما يحفظه الخطباء وفي الطليعة مما ينشده الوعاظ في مآتم الحسين عليه السلام نظماً، وهي اثنا عشرة قصيدة فارسية كل منها في اثني عشر بيتاً، اشتهرت عبر هذه القرون بـ(البنود الاثني عشر).

(١) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

بر حربگاه چون ره آن کاروان فتاد

شورنشور واهمه را در کمان فتاد

هر جا که بود آهویی از دشت با کشید

هر جا که بود طایری از آشیان فتاد

وفي هذا الأثناء وصلت حورية لخدمة النبي الأكرم عليه السلام وقالت: الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام تقول: «أمركم المقرر بأن يرثي مقبل سيد الشهداء في تلك الواقعة». ثم أمرني رسول الله عليه السلام ، فارتقيت المنبر، ووقفت على الدرجة الأولى، وأخذت أنشد ما ترجمته للعربية:

في الرواية: أنه لما ضاق عليه الأمر
توقف ذو الجناح عن الحركة
ما بقي لسيد الشهداء قدرة على الجهاد
ولا ذو الجناح تمكن من الاستقامة
خلاصة الإيجاد: أخرج قدمه من الركاب
وكما أشعة الشمس سقط على الأرض
ملك عظيم الشأن هوى من على السرج
ليس خطأ إن قلت: سقط العرش على الأرض^(١)

(١) أصل الأبيات باللغة الفارسية هو:

روایت است که چون تنگ شد بر او میدان
فتاد از حرکت ذو الجناح واز جـولان
نه سيد الشهداء بر جدال طاقت داشت
نه ذو الجناح دگر تاب استقامت داشت
کشید با زرکاب آن خلاصه ایجاد
به رنگ برتو خورشید بر زمین افتاد
بلند مرتبه شاهى ز صدر زین افتاد
اگر غلط نکنم عرش بر زمین افتاد

وفي ذلك الوقت أشار إليّ أحد الأشخاص : أن أتوقف عن إنشاد الأشعار، وأنزل من المنبر، لأن بنت النبي ﷺ قد أغمى عليها، فقطعت إنشاد شعري ونزلت، وجئت فرأيت الضريح المنور لسيد الشهداء عليه السلام قد انفتح، وخرج شخص جليل القدر، وبدنه مليء بجروح لا تحصى، فأعطاني خلعة فاخرة، فقلت: جعلت فداك، من أنت؟ قال: «أنا الحسين». فكان إخلاص هذا الرجل في التوبة ومودة أهل البيت عليه السلام سبباً رئيسياً في علو مكانته وجودة شعره، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الإخلاص أعلى فوز»^(١). إن هذا الرجل الظريف والشاعر المزاح اعتاد الفكاهة في إلقاء طرفه هنا وهناك وإتحاف مجالسيه بهذه الفرصة أو تلك، دون أن يتوخى التجريح والوخز في الفكاهة، إنما يتوخى الإضحاك والإمتاع، غير أن طرفه ساقه يوماً من الأيام إلى السماجة والغلظة بلا تعمد منه لذلك، وحين أدرك خطأه ندم على ما بدر منه، ولم يكتف بالندم بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فأعلن توبته النصوح وشرع في البكاء والرثاء.. أليس الإخلاص هو الدافع الحقيقي لهذا التحول؟ ألم ينل هذا الرجل أعلى فوز بإخلاصه في توبته؟..

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

الحسين عليه السلام أتم له البيت

أطلق الشيخ محمد رضا الأزري^(١) على أبي الفضل العباس عليه السلام عدة ألقاب رفيعة تنم عن صفاته النفسية الطيبة وعراقة محتدو، وما اتصف به من مكارم الأخلاق، ومنها:

- ١- قمر بني هاشم
- ٢- السقاء
- ٣- بطل العلقمي
- ٤- حامل اللواء
- ٥- كبش الكتيبة
- ٦- العميد
- ٧- حامي الطعينة
- ٨- باب الحوائج
- ٩- المستجار

ولما أورد شاعر أهل البيت عليه السلام الشيخ محمد رضا في

قصيدته هذا المقطع: يوم أبو الفضل استجار به الهدى

أخذ يتأمل، ويقول في نفسه: لعل ذلك لا يرتضيه الإمام الحسين عليه السلام، فلم يكمل البيت، فتشرف في عالم الرؤيا بالإمام الحسين عليه السلام وهو يقول له: «صحيح ما قلته، إني التجأت إلى أخي أبي الفضل العباس»، ثم إن الحسين عليه السلام أكمل المصراع الثاني بقوله:

(١) هو الشيخ محمد رضا الأزري؛ ولد في بغداد سنة (١١٦٢هـ) وتوفي فيها سنة (١٢٤٠هـ) ولم يعقب، درس العلوم العربية على أخيه الكبير الشيخ يوسف الأزري وعلى غيره من فضلاء عصره، أهم شعره في رثاء أهل البيت عليه السلام وهو المعول عليه وبه امتاز واشتهر، وأما الباقي من شعره ففي أغراض شتى، نهج في شعره منهج المخضرمين له ديوان يشتمل على أكثر من ألف وخمسمائة بيت.

والشمس من كدر العجاج لثامها

وفي مثل هذا الإخلاص يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا استخلص الله عبداً ألهمه الديانة»^(١).

والقصيدة التي أنشأها الشيخ محمد رضا الأزري، منها:

وَهَوَى عَلَيْهِ مَا هُنَاكَ قَائِلًا

الْيَوْمَ بَانَ عَنِ الْيَمِينِ حُسَامُهَا

الْيَوْمَ سَارَ عَنِ الْكَتَائِبِ كَبْشُهَا

الْيَوْمَ بَانَ عَنِ الْهَدَاةِ إِمَامُهَا

الْيَوْمَ آلَ إِلَى التَّفَرُّقِ جَمْعُنَا

الْيَوْمَ حُلَّ عَنِ الْبُنُودِ نِظَامُهَا

الْيَوْمَ خَرَّ مِنْ الْهَدَايَةِ بَدْرُهَا

الْيَوْمَ غَبَّ عَنِ الْبِلَادِ غَمَامُهَا

الْيَوْمَ نَامَتْ أَعْيُنُ بِكَ لَمْ تَنَمْ

وَتَسَهَّدَتْ أُخْرَى فَعَزَّ مَنَا مُهَا

أَشَقِيقَ رُوحِي هَلْ تُرَاكَ عَلِمْتَ إِذْ

غُودِرْتَ وَأَنْثَأْتِ عَلَيْكَ لِثَامُهَا

إِنْ خَلْتَ أَطْبَقْتَ السَّمَاءَ عَلَى الثَّرَى

أَوْ دُكِدِكْتَ فَوْقَ الرُّبَى أَعْلَامُهَا

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

لَكُنْ أَهَانَ الْخُطْبَ عِنْدِي أَنَّنِي
 بِكَ لَا حَقَّ أَمْرًا قَضَى عَلَامُهَا
 ومهما قال الشعراء والكتّاب فإنهم لا يستطيعون أن يصفوا ما
 ألمَ بالإمام الحسين عليه السلام من فادح الحزن، وعظيم المصائب
 ولا يمكنهم أن يبينوا من كل ألف جزء ولو جزءاً واحداً بعد أن
 وصفه أرباب (المقاتل): بأنه عندما نهض من أخيه عليه السلام، لم
 يتمكن أن يرفع قدميه، وقد بان عليه الانكسار، وهو الصبور الذي
 لا مثيل له.

يد الإمام الرضا عليه السلام تصافحني

حكى عن الشيخ إبراهيم صاحب الزماني ، وكان من مادحي أهل البيت عليه السلام ، ومنشدي المراثي في مصائبهم ، قال : تشرفت بزيارة المشهد المقدس ، وأقمت فيه مدةً ، حتى نفذ كل ما أملك من المال ، ولا أعرف أحداً أستعين به في حلّ مشكلتي ، فكتبت قصيدة في مدح الإمام الرضا عليه السلام ، وفكرت في نفسي أن أذهب إلى سادن الروضة المقدسة وأقرأها عليه لأنال الصلة والهدية لأستعين بها في أمور معيشتي .

فتوجهت إلى الروضة المقدسة بتلك النية ، وفي الطريق حدثت نفسي : لماذا لا أذهب إلى حضرة الإمام الرضا عليه السلام ؟ ولماذا أقرأها على غيره ؟ فذهبت إلى جنب الضريح ، وبعد الاستغفار والدعاء وطلب الحاجة من الله تعالى ، خاطبت بقصيدتي الإمام الرضا عليه السلام ، وطلبت منه الصلة ونيل الهدية .

فلم أراً إلا ويد تصافحني وتضع في يدي عملة نقدية من فئة مائة ريال ، وبدون إدراك للموقف ، قلت : سيدي ! إنها قليلة ، فأعطاني مائة أخرى ، ثم قلت : سيدي ! إنها قليلة ، فأعطاني مائة أخرى ، وهكذا بقيت أكرر طلبي وهو يعطيني ، حتى بلغت الصلة

سبعمائة ريال ، فخجلت من نفسي ، فشكرته وخرجت من الحرم المطهر.

هذه الكرامة لا يحظى بها إلا المخلصون الحقيقيون الذين لا يتوجهون بحاجاتهم إلا إلى الله عزوجل ويتوسلون بأوليائه المقربين ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أول الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس»^(١).

ومن هذا الحديث الشريف وهذه القضية ندرك أن على المؤمن في الصغيرة والكبيرة أن يضع أول توكله وأول أمله في الله عزوجل ، وثاني توكله وأمله في أوليائه المقربين ، الشفعاء المشفعين ، الذين دلّ الله سبحانه إليهم وجعلهم حججه على عباده.

فالله جل وعلا أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وهو يحيط به من كل ركن وصوب ، وييده كل ما يرغب العبد ويريد ، فإذا كان دعاء المؤمن خالصاً من كل كدر ومن كل شائبة ، وكان المؤمن يائساً مما في أيدي الناس ومن الاعتماد عليهم ، كان مؤمناً حقاً ، فإن الإيمان كله والإخلاص كله أن يرى المؤمن عماده وسنده وموئله في الله تعالى وفي أوليائه المقربين.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ١٩٨ ح ٣٩١٨.

كيف ترجمت أشعاري؟

قيل : كان العلامة الأميني رحمته الله (صاحب كتاب الغدير) يتحدث على المنبر، وسط هيجان الناس وضجيجهم، بحيث أصبح عدد المستمعين الذين تجمعوا لسماع كلمته لا يحصى، لدرجة أن وسائط النقل قد توقفت عن الحركة - ذهاباً وإياباً -، وكانت الأفكار منجذبة للعلامة الأميني رحمته الله، فقام أحد المستمعين يخترق الزحام حتى أوصل نفسه إلى العلامة الأميني ليخبره: بأن أستاذاً كبيراً في جامعة الأزهر بمصر قد أعلن تشييعه نتيجة مطالعته لكتاب (الغدير)، ثم تشرف بزيارة ثامن الحجج عليه السلام، وأنشد أشعاراً عربية جميلة.

فقطع العلامة الأميني كلامه، فشكره وقال لي: قل له: أن يأتي ليقرأ أشعاره من خلف المايكروفون، وكان العلامة الأميني في أعلى المنبر، والأستاذ المصري واقف على درجتين تحت المنبر، وهو يقرأ أشعاره العربية اللطيفة الرائعة في مدح الإمام الرضا عليه السلام.

فالتفت إلي العلامة الأميني وقال لي: اقرأ يا حسان أشعارك في مدح الإمام الرضا عليه السلام، وحيث لم يسبق لي أن أقرأ شعراً في مثل هذه الجموع الغفيرة، فقلت له: جعلت فداك، أنت تعرف أنني أقرأ أشعاري من خلال استعائتي بالكتاب أو الدفتر، والآن ليس لي من الأشعار ما أقرأها، إلا أن العلامة الأميني لم يقتنع بما

أوردته في كلامي ، وكرر علي ، وقال : يا حسان ! أنت ضيف عزيز ، فقل شعرك في مدح حضرة الرضا عليه السلام.

وفي هذا الموقف المخرج تذكرت أنني كتبت أشعاراً الليلة الماضية في مدح الإمام الرضا عليه السلام إلا أنها ناقصة لم تكتمل ، وكنت قد وضعتها في جيب ، فقلت : حضرة الشيخ الأميني ، أما تسمح لي بقراءة الأبيات الناقصة والتي ترجمتها إلى العربية هي :

ان حاجتي كانت أن أزور بيت الله الحرام في مكة
فصارت القسمة أن أزور قبر الإمام الرضا في طوس^(١)

فلما انتهيت من قراءة أشعاري ، احتضنني الأستاذ المصري وقبلني ، وقال : كيف يمكنك بلحظات قليلة أن تترجم أشعاري العربية المقفاة بحرف السين إلى اللغة الفارسية ؟!

فعلمت أن هذه معجزة من معاجز حضرة الإمام الرضا عليه السلام ،
لأنني أنشأت أشعاري في مدح الحضرة المطهرة قبل ليلة ، في نفس الليلة التي كان بها الأستاذ المصري في المشهد المقدس ، وكان القافية والمعنى للقصيدتين واحد ، فظن الأستاذ المصري أن أشعاره العربية ترجمتها إلى الفارسية في نفس ذلك المجلس ، وهذه أيضاً كرامة للعلامة الأميني الذي أصر علي بأن أقرأ أشعاري .

(١) أصل البيت هو :

حاجتم بود حج بيت الله قسمتم شد حريم قبله طوس

الرسول ﷺ والحجة

يشاركانه في القصيدة

توفي أحد أولاد الشاعر محتشم الكاشاني ، فتأثر بذلك أشد التأثر وأنشد بعض الأبيات الشعرية في رثائه ، وفي إحدى الليالي تشرف في منامه برؤية الرسول الأكرم ﷺ وهو يقول له :
«أنشدت مرثية في ولدك ولم تنشُد مرثية في ولدي»؟!.

قال محتشم : فانتبهت من نومي ، وبما أني لم أتخصص بهذا الفن - فن الشعر- ، بقيت حائراً ، وأقول : أني لي بمرثية ابن النبي الأكرم ﷺ ، وفي الليلة الثانية عاتبني حضرة النبي ﷺ وهو يقول لي : «لِمَ لَمْ تَقُلْ مرثية في مصيبة ولدي»؟!.

قلت : يا رسول الله ! بما أني لم أسلك هذا الوادي - وادي الشعر- لم أجد سبيلاً لذلك . فقال ﷺ : قل : (ما ترجمته)
ما هذا الهيجان مرة أخرى قد أصاب العالم^(١)

فانتبهت من نومي ، وأخذت أنظم الشعر وجعلت هذا المصراع مطلعاً للقصيدة ، فلما وصلت إلى هذا المصراع :
قلوبنا مليئة بالآلام وإن كان ذو الجلال بريئاً منها^(٢)

(١) أصل البيت باللغة الفارسية هو : باز این چه شورش است که درخلق عالم است

(٢) أصل البيت باللغة الفارسية هو : هست از ملال کُهر چه بری ذات ذو الجلال.

توقفت عنده وقلت : كيف لي أن أكمل هذه الأبيات ؟
وفي الليل تشرفت بلقاء ولي العصر عليه السلام في المنام ، وهو يقول
لي : « لماذا لم تكمل مرثيتك ؟ » ، قلت : في هذا المقطع وصلت إلى
طريق مسدود ، فقال عليه السلام لي :
إن الله في قلوبنا ولكن القلوب لم تخل من الآلام ^(١)
فاستيقظت من نومي ، ودمجت المقطعين حتى أكملت
القصيدة .

كتب العلامة المدرس التبريزي في (ريحانة الأدب) قال : هذه
الأبيات الإثنا عشر لمحتشم الكاشاني من زمانه وإلى عصرنا هذا لم
يطوها الزمن ولم تنس ، بل تتجدد كلما تجدد الزمان ، مثل أصل
مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لم تنس ، بل تتجدد كل عام وكل يوم ،
ولكثرة تأثير هذه الأبيات في قلوب محبي أهل بيت العصمة عليهم السلام
كأنما كتبت على قلوبهم بقلم حزين .

ولا يستبعد أن يكون امتياز هذه الأبيات ورواجها ، بسبب
المقطعين اللذين أنشأهما الرسول الأكرم عليه السلام وحفيده ولي
العصر عليه السلام للشاعر محتشم الكاشاني ، فأصبح شعره قسماً لاتخمد
السنين .

(١) أصل البيت باللغة الفارسية هو : اودردل است وهيچ دلي نیست بی ملال .

حزين في يوم عيد الغدير

نقل الفاضل الأديب السيد باقر الهندي^(١)، قال: رأيت في نامي الإمام الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام ليلة الغدير حزناً باكياً، فأقبلت إليه وسلّمت عليه وقبّلت يديه، وكأنّه يفكر، فقلت: يا سيدي! إن هذه أيام فرح وسرور بعيد الغدير، وأراك حزناً تبكي؟! فقال عليه السلام: «ذكرت أمي الزهراء وحزنها»، ثم أنشد يقول:

لا تَرَانِي اتَّخَذْتُ لَا وَعُلَاهَا

بَعْدَ بَيْتِ الْأَحْزَانِ بَيْتَ سُرُورٍ

قال: فانتبهت من نومي ونظمت قصيدة في أحوال الغدير، وذكرت الزهراء عليها السلام، وذكرت بيت النبوة ﷺ والقصيدة هي:

(١) هو السيد باقر بن محمد بن هاشم بن مير شجاعت علي الرضوي الهندي النجفي عليه السلام، ولد في النجف الأشرف سنة (١٢٨٤هـ) ونشأ بها على أبيه، وسافر معه في العام (١٢٩٨هـ) إلى سامراء، وكان والده يحضر هناك بحث المجدد الشيرازي عليه السلام، فبقي معه إلى أن عاد في سنة (١٣١١هـ)، وقد أخذ مقدمات العلوم وشيئاً من الفقه والأصول على الأساتذة المشاهير، وحضر في النجف على الشيخ محمد طه نجف والميرزا إبراهيم الشيرازي المحلاتي، توفي غرة محرم (١٣٢٩هـ)، له شعر كثير باللغتين الفصحى والعامية وهو والد العالمين الأديين السيد محمد صادق والسيد حسين.

كُلُّ غَدْرٍ وَقَوْلٍ إِفْكٍ وَزُورٍ
 هُوَ فَرَعٌ عَنِ جَعْدِ نَصِّ الْغَدِيرِ
 فَتَبَصَّرَ تَبَصُّرُ هَذَاكَ إِلَى الْحَا-
 قِّ فَلَيْسَ الْأَعْمَى بِهِ كَالْبَصِيرِ
 لَيْسَ تَعْمَى الْعُيُونُ لَكُنَّمَا تَعْمَى
 مَيِّ الْقُلُوبِ الَّتِي انْطَوَتْ فِي الصُّدُورِ
 يَوْمَ أَوْحَى الْجَلِيلُ يَا مَرْطَه
 وَهُوَ سَارٍ أَنْ مُرِبْتَكَ الْمَسِيرِ
 حُطَّ رَحْلُ السُّرَى عَلَى غَيْرِ مَاءٍ
 وَكَلَّا فِي الْفَلَا وَحَرَّ الْهَجِيرِ
 ثُمَّ بَلَّغَهُمْ وَالْأَفَمَّا بَلَّ-
 غْتَ وَحِيَاءَ عَنِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ
 أَقِمِ الْمَرْتَضَى إِمَاماً عَلَى الْخَلْدِ
 قِي وَتُوراً يَجْلُو دُجَى الدَّيْجُورِ
 فَرَقَى أَخِيذاً بِكَفٍّ عَلِيٍّ
 مِنْبِراً كَانَ مِنْ حُدُوجِ وَكُورِ^(١)
 وَدَعَا وَالْمَلَا حَضُورَ جَمِيعاً
 غَيَّبَ اللَّهُ رُشْدَهُمْ مِنْ حَضُورِ

(١) الحدوج: مراكب النساء التي توضع على ظهور الإبل في القوافل، والكُور: الرحل
 أو هو الرحل بأداته.

إِنَّ هَذَا أَمِيرُكُمْ وَوَلِيُّ الْ—
 أَمْرِ بَعْدِي وَوَارِثِي وَوَزِيرِي
 هُوَ مَوْلَى لِكُلِّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَا
 هُ مِنْ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
 لقد نقل السيد باقر الهندي واقعة الغدير بأسلوب أخاذ ناصع،
 ناقلاً إيها من النثر إلى الشعر، مؤكداً ولاية أمير المؤمنين عليه السلام التي
 لا فرية فيها ولا مزية، مبيناً أن أي جحد لنص الغدير هو غدر
 وقول إفك وزور، ثم يرسم لنا بريشة الكلمات الشعرية صورة
 اعتلاء رسول الله ﷺ منبراً نُصب له من حدوج وكور، يوم غدير
 خم، وكيف أخذ ﷺ بكف أمير المؤمنين عليه السلام وأسمع كل من
 كان حاضراً: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه.. اللهم وال من
 والاه.. وعاد من عاداه..» الحديث^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٨٧.

أقسم عليك بحق علي عليه السلام

نقل الوالد رحمه الله^(١) أنه قبل قرابة ثمانين سنة حيث كانت البنادق غير متعارفة وإنما كانت الأسلحة المستخدمة هي السيف والرمح وما أشبه ذلك، كان في أطراف النجف الأشرف بعض الحيوانات الضارية كالأسد والضبع والذئب ونحوها كانت تفترس بعض الأفراد بين الحين والآخر، ولذا كان الطريق إلى الكوفة مشياً أمراً خطراً جداً، فنقل عن أحد الروحانيين قوله: ذهبت إلى مسجد

(١) هو آية الله العظمى الميرزا مهدي بن حبيب الله الشيرازي رحمه الله، ولد في كربلاء المقدسة عام (١٣٠٤هـ)، واشتغل في التحصيل وطلب العلوم منذ نعومة أظفاره فتعلم في المراحل العليا على يد نخبة من أساطين الفقه والأصول أمثال: الآخوند الخراساني والسيد اليزدي والشيخ محمد رضا الهمداني والشيخ محمد تقي الشيرازي (قائد ثورة العشرين في العراق) والميرزا النائيني (رحمهم الله جميعاً)، أصبح من مشاهير الفقهاء الذين يُشار إليهم بالبنان، اشترك في ثورة العشرين وأفتى مع مجموعة من الفقهاء إبّان حركة الجيش عام (١٣٦٠هـ = ١٩٤١م) بضرورة طرد الإنجليز من العراق، وتصدى كذلك للموجة الشيوعية في الخمسينات، وتصدى للمد القومي في عهد عبد السلام عارف، واشترك مع آية الله العظمى السيد حسين القمي رحمه الله عام (١٣٦٠هـ) ضد الحكومة الإيرانية، وأصدر فتوى في ذلك الوقت أجبرت الحكومة على الرضوخ لمطالبه والسماح في ارتداء الحجاب، والمنع من الاختلاط في المدارس، ووجوب تدريس الأحكام الشرعية في المدارس، ومراعاة الموقوفات، وتحسين الوضع الاقتصادي العام.

السهلة ليلاً، وبتّ في سطحه، والليل كان مقمراً، فسمعت صوت أسد في الصحراء فتوجهت من سطح المسجد إلى ذلك الجانب، وإذا بأسد يقبل نحو المسجد رأيته ورأيتُه وصرت أنظر إليه حتى صعد الدرج وعندما وصل الأمر إلى تحفزه على مهاجمتي قلت له: أقسم عليك بحق علي أمير المؤمنين عليه السلام إلا ما رجعت قال: فهمهم الأسد وتوقف لفترة قصيرة ثم أخذ في الرجوع وكنت أنظر إليه حتى غاب عن عيني، فسقطت من شدة الذهول ولم أشعر إلا والشمس طالعة عليّ بعد انتصاف النهار، وبقيت بعد ذلك لعدة أشهر مريضاً من تلك الصدمة. فلولا الإخلاص في النية والدعاء لاستحالت نجاة هذا الرجل من قدره المحتوم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بالإخلاص يكون الخلاص»^(١). وهكذا فإن الكل يطلب الخلاص عندما تعترض سيرته العقبات والمشاكل، وتصيبه الهموم والمنغصات، وتختلف وسائل الخلاص وفقاً لاختلاف الفكر والقدرة والعقيدة، والمؤمن لا يجد وسيلة أنجح في درء المضلات والتخلص من مهاوي الخطأ والخطيئة، من اللوذ بملاذ الله جل وعلا، وملاذ أوليائه المطهرين عليهم السلام، ففي الاستجارة بالله وبهم ملاذ حصين من كل شدة ومكروه، ومتى أخلص المؤمن بالاستجارة والاستغاثة وجد في الله تعالى وفي أوليائه خير مجير ومغيث.

(١) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٩ ح ١٢٤.

اذهب إلى الهند

كان أحد طلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف قد ابتلي بقروض كثيرة ولم يكن له سبيل لأدائها إلا بالتوسل إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالحاج ، فرأى ليلاً الإمام عليه السلام وقال له : «اذهب إلى الهند قاصداً الرجل الفلاني وقل له هذا الشطر ، والذي مضمونه :

لا رتضعت هذه الذرة وصارت تشع كالشمس^(١)

وقصد الهند مع مشقة السفر الطويلة حتى وصل إلى ذلك الرجل ، فأنشد له هذا الشطر ، ونقل له قصة قرضه ورؤياه الإمام عليه السلام في النجف الأشرف في المنام ، فاستحسن الرجل شطره استحساناً كبيراً وأعطاه مالاً كثيراً وقال : إنني قلت شطراً وتخيرت في الشطر الثاني وقد مرّت عليّ مدّة طويلة وأنا متحير في هذا الشطر ، أما الشطر الذي قلته - مضمونه - :

لو أن أبا تراب عليه السلام نظر إلى ذرة بلطف^(٢)

فتبين أن الإمام عليه السلام أكمله بشطر من عنده عليه السلام.

(١) أصل الشطر باللغة الفارسية : بأسمان رود وكار آفتاب كند .

(٢) أصل الشطر باللغة الفارسية : به ذره نگر نظر لطف بو تراب كند .

مسه الإمام عليّ عليه السلام فلم يحترق!!

نقل السيد بهاء الدين علي بن السيد عبد الكريم النيلي النجفي في كتابه (الأنوار المضيئة) عن والده حكاية عجيبة ، قال : إن رجلاً يقال له : محمد بن أبي أذينة كان يتولى مسجد قرية لنا تسمى (قرية نيلة) انقطع يوماً في بيته ، فاستحضره فلم يتمكن من الحضور ، فسألوه عن السبب ، فكشف لهم عن بدنه فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى طرفي ركبته محترق بالنار ، وقد أصابه من ذلك ألم شديد فلا يمكنه القرار ، فقالوا : متى حصل ذلك لك ؟ قال : اعلّموا أنني رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت والناس في هرج عظيم ، وأكثرهم يساق إلى النار وأقلهم إلى الجنة ، فكنت مع من سيق إلى الجنة ، فأنتهى بنا المسير إلى قنطرة عظيمة في العرض والطول ، فقليل : هذا الصراط ، فسرنا عليها فإذا هي كلّما سلكنّا فيها قلّ عرضها وزاد طولها ، فلم نبرح كذلك ونحن نسير حتى صارت كحد السيف ، وإذا تحتها واد عظيم أوسع ما يكون من الأودية ، تجري فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كرؤوس الجبال ، والناس ما بين ناج وساقط ، فلم أزل أميل من جهة إلى جهة ، حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة ، فلم أتمالك حتى سقطت من

عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهت إلى الجرف، فكنت كلما أتشبت بشيء لم يتماسك في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث وقد انذهلت وطار عقلي وذهب لبي، فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوقع في روعي أنه الإمام علي عليه السلام، فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين، فقال: «هات يدك»، فمددت يدي، فقبض عليها وجذبني، وألقاني على الجرف، ثم أطم النار عن وركي بيده الشريفة، فانتبهت مرعوباً وأنا كما ترون، لم يسلم من النار إلا ما مسه الإمام عليه السلام.

نعم إن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي المؤمنين قائلاً: «عليكم بإخلاص الإيمان فإنه السبيل إلى الجنة والنجاة من النار»^(١).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤٣.

الرؤيا الصادقة

نقل لي شخص سعودي عندما اندلعت الاضطرابات والمظاهرات في السعودية سنة (١٤٠٠هـ) قائلاً: ذهبت إلى مدينة كربلاء المقدسة للزيارة وكان ولدي الكبير باقياً في السعودية، فاتخذت مكاناً في أحد الفنادق حتى إذا انتصف الليل قامت زوجتي وأخذت تهلهل بصوت عالٍ، وكلما حاولت إسكاتها لم أنجح، مما دفعني أن أعتقد بإصابتها بالجنون، وبعد أن هدأت واستقرت قالت: إن ولدي قد قتل في السعودية ثم أخذت في بكاء شديد ولما سألتها عن دليل قولها، قالت: رأيت ولدي قد دخل حرم الإمام الحسين عليه السلام، واستقبله الإمام بكل حفاوة وهذا لا يكون إلا لأنه مقتول، وفي اليوم التالي تلقيت مكالمة هاتفية من القطيف وتم إخباري أن ولدي قتل في المظاهرات، حيث أطلقت الحكومة أسلحتها فسقط جماعة ومنهم ولدي. يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «ما ارتاب مخلص ولا شك موقن»^(١)، فإن إخلاص زوجة هذا الرجل جعلها لا تشك ولا ترتاب في حقيقة رؤياها.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٤٥.

الطفل الأعمى وبركات زينب عليها السلام

كان أحد الأطفال أعمى وهو في سن السادسة من العمر يرتاد المجالس الحسينية بصحبة خاله ، وفي أحد أيام محرم الحرام كان المجلس الحسيني منعقداً في دار خاله ، وكان الجو حاراً فأرادوا أن يوزعوا بعض المرطبات ، فأصر الطفل الأعمى أن يقوم هو بتوزيعها بمساعدة شخص آخر ، وبينما كانا يوزعان تلك المرطبات وصل الخطيب إلى ذكر مصيبة أم المصائب الحوراء زينب عليها السلام ، فتأثر هذا الطفل كثيراً وبكى بحرقة شديدة حتى أغمي عليه ، فرأى وهو في تلك الحال أن السيدة زينب عليها السلام رفعت يدها المباركة ومست عينيه الاثنتين وقالت : « شفيت تماماً ولن تمرض عينك بعد اليوم » ، وحين صحا من الغيبوبة وجد أن بصره قد رد إليه ببركة هذه السيدة العظيمة عليها السلام .

وحين كبر هذا الطفل اشتغل في أحد المختبرات الطبية ، وفي أحد الأيام كان يقوم بعمله المختبري وإلى جانبه إناء مملوء بمادة الكحول وهو لا يدري به ، فأشعل عود كبريت فانفجر الإناء وانهمر عليه الكحول المحترق فأحرق جسمه كله إلا عينيه اللتين لامستهما يد الحوراء زينب عليها السلام .

أصعده جبرائيل وأنزلناه نحن

كان الوالد ﷺ في أيام شبابه في سامراء مع الذين يعملون في خدمة مآتم الإمام الحسين عليه السلام فيغلفون جدران الحسينية بأقمشة سوداء وغير ذلك، قال ﷺ: ذات يوم ارتقيت السلم لأغلف الحسينية فسقطت أرضاً لكن لم يصبني شيء وفي الوقت نفسه الذي سقطت فيه رأيت والدتي في المنام كما حدثتنا بعد ذلك أن الخمسة الطيبة أصحاب الكساء عليهم السلام قالوا لها: إن ولدك لا بأس عليه فقد أصعده جبرائيل عليه السلام وأنزلناه نحن إلى الأرض، ونقل لي الوالد ﷺ أنه لم يصبه أذى مما سبب الاستغراب.

ولمثل هذه الكرامات الفريدة يقود الإخلاص النابض من الأعماق، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(١). وكان أمير المؤمنين عليه السلام صادقاً في هذا القول وفي كل ما قاله، فإن لكل شيء في هذه الحياة آفة تكدر صفاءه وتنقص كماله، فآفة الغنى البطر، وآفة الحلم الجزع، وآفة الصبر الاستسلام، وكذلك العمل تعثره آفة عدم الإخلاص.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٢.

كنا حاضرين عند منبر النبي ﷺ

نقل السيد الوالد ﷺ عن الحاج ميرزا حسين النوري ﷺ^(١).
قال : كنت أنا في بلدة (نور) في إيران أكتب الأحاديث ،
وكنت خرج كل ليلة إلى منطقة مزروعة هناك ، وأكتب في غرفة
مهيئة للزراع وكنت أغلق الباب على نفسي وأجلس للكتابة ، وفي
ذات ليلة وأنا أكتب رأيت أن الباب انفتح تلقائياً ، ودخل نفران
يرتديان البياض لا يشبهان الإنسان فسلما وقالوا لي : ماذا تكتب ؟
قلت : أكتب الأحاديث .

قالا : وما هو الحديث الذي تكتبه الآن ؟
قلت : قصة الغدير وخطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع .
قالا : اقرأ .

فأخذت أقرأ حديث الغدير فصححا بعض الكلمات فيها

(١) الميرزا حسين ابن الشيخ محمد تقي بن محمد ملي أو علي النوري الطبرسي ﷺ ،
ولد في ١٨ شوال سنة (١٢٥٤هـ) في قرية (يالو) من قرى نور إحدى كور طبرستان ،
توفي في النجف ليلة الأربعاء ٢٧ جمادى الآخرة في سنة (١٣٢٠هـ) ودفن في
الصحن الشريف ؛ وهو صاحب كتاب المستدرک ، كان عالماً محدثاً ، متبحراً في علمي
الحديث والرجال عارفاً بالسير والتاريخ ، وكان زاهداً عابداً لم تفته صلاة الليل وكان
وحيد عصره ، أنعم الله عليه بملازمة العالم الجليل الفقيه الزاهد الورع المولى محمد
علي ابن آغا زين العابدين رضا المحلاتي .

قائلين : نحن كنا حاضرين زمن حدوث القصة عند منبر النبي الأعظم ﷺ وسمعناه هكذا يقول.

قال الوالد رحمه الله : وذكر الحاج النوري النسخة التي ذكرها في حاشية الكتاب ، وأقسم أنه سمع الخطبة ممن سمعها عن رسول الله ﷺ مباشرة.

قال رسول الله ﷺ : «ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(١).

أجل ، ليس هناك مسافة وفرق بين الحكمة والإخلاص ، فالحكيم مخلص ولكن ليس كل مخلص حكيماً ، لأن الحكمة شرطها الإخلاص ، ولأن العلاقة بين القلب واللسان ، واليد والسلوك ، والفكر والعمل ، علاقة حميمية لا تنفصل ، وبغير وجود هذه العلاقة يظهر الرياء والانقسام ، وتصبح الحكمة فذلك فارغة.

وبعبارة أخرى أن الحكمة حين تفقد الإخلاص فإنها تفقد جانبها العملي ، وتصبح مجرد أقاويل ، ومهما كان طلاؤها مزخرفاً وجميلاً فلن يجعل منها حقيقة أبداً.

(١) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٤٢ ح ١٠.

رؤية الجن

نقل عن المرحوم السيد محمد الصدر رحمته الله الذي كان يسكن كربلاء المقدسة، وهو من رجال الدين الأخيار، قال: كنت أحضر دروس الحاج ميرزا حسين الحاج ميرزا خليل^(١) وفي يوم من الأيام جاء رجل وقال: إن بيتي تسكنه الجن، وجئت إليكم لأطلب منكم دعاء حتى أكفى هذه المؤونة، فقال له الحاج ميرزا حسين: اذهب إلى سطح دارك أول الصباح، وتوجه إلى القبلة وقل: يا أيها الجن، الحاج ميرزا حسين يأمركم أن تكفوا عني، فذهب الرجل وفعل ما أمره.

قال السيد الصدر: وكنت قد سمعت أن الحاج له تسخير الجن فسألته: كيف قلت هذا، هل لك تسخير الجن؟

قال: لا ليس لي تسخير الجن وإنما حدثت لي قصة وهي أنني كنت أذهب إلى مسجد السهلة^(٢) في الليالي السالفة وفي سرداب

(١) من أساتذة الشيخ محمد حسن المعروف به (الشيخ أغا بزرك الطهراني رحمته الله).

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٢٣٢ ح ٦٩٧، وفيه: أما مسجد السهلة فقد قال فيه الصادق عليه السلام: «لو استجار عمي زيد به لأجاره الله سنة، ذلك موضع بيت إدريس عليه السلام الذي كان يخط فيه، وهو الموضع الذي خرج منه إبراهيم عليه السلام إلى العمالق، وهو الموضع الذي خرج منه داود عليه السلام إلى جالوت، وتحت صخرة

هناك كنت أصلي وأقرأ الدعاء وذات ليلة جاءني شخص في الظلام وجلس على سجادتي ، ولما أتممت الصلاة قلت له من أنت ؟
قال : أنا جنني من مقلديك جئت إليك لأُنظر هل عندك أمر فأتبعه . فقلت له : هل في الجن مقلدون ؟

قال : نعم ، الجن كالإنس فيهم كفار وفيهم مسلمون^(١) ، ومن المسلمين أتباع العامة وفيهم شيعة ، والشيعة فيهم مقلدون وفيهم غير ذلك ممن لا تقليد لهم كفسقة الإنس وأنا من المقلدين لك المتدينين . فقلت : لا .. لا حاجة لي .

قال الجنني : نعم بعض الجن المعادون للإنسان يرمون دورهم بالحصى وإذا حدث هذا الشيء لإنسان فقل له : اذهب إلى سطح الدار في وقت الصباح وقل : أيها الجن كفوا عن هذا البيت ، فإن لم يكفوا فنحن لهم بالمرصاد .

قال الشيخ : وقد جربت هذا الشيء مراراً فظهرت صحة ما قاله ذلك الجنني .

→ خضراء فيها صورة وجه كل نبي خلقه الله عز وجل ، ومن تحته أخذت طينة كل

نبي ، وهو موضع الراكب» ، ف قيل له : وما الراكب ؟ فقال : «الخضر عليه السلام» .

(١) قال سبحانه وتعالى على لسان الجن : «وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرُّوا رَشَدًا» سورة الجن : ١٤ .

رأيتك وسمعتك تنشد القصيدة

نُقل عن المرحوم آية الله المرعشي النجفي رحمته الله^(١)، إنه قال :
توسلت في إحدى الليالي أن أرى في منامي أحد أولياء الله ،
فرايت في تلك الليلة في عالم الرؤيا كأني جالس في مسجد
الكوفة ، بحضور أمير المؤمنين عليه السلام وجمع من الناس كانوا
حاضرين ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «اثنوني بشعراء أهل بيتنا» .
فرايت قد جيء إليه ببعض شعراء العرب ، ثم قال عليه السلام :
«اثنوني بشعراء الفرس» ، فرايت قد جيء إليه بمحتشم الكاشاني
وعدد من شعراء الفرس . فقال عليه السلام : «جيثوني بشهريار» ، فجاء
شهريار^(٢) ، فوجه عليه السلام خطابه إليه ، قائلاً : «اقرأ أشعارك» ، فقرأ
شهريار أبياتاً هذه ترجمتها :

(١) السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ، ولد في النجف الأشرف عام (١٣١٥هـ) ،
والده العلامة السيد محمود شمس الدين المرعشي من علماء النجف ، وجدته سيد
الحكماء ، درس في النجف الأشرف ونال درجة الاجتهاد مبكراً ، انتقل إلى قم
المقدسة ليكون واحداً من أعظم مدرسي حوزة قم الكبرى ، له رسالة عملية مطبوعة
سنة (١٣٧٠هـ) عنوانها (ذخيرة المعاد) ، له مشاريع إسلامية اجتماعية وثقافية
كبرى ، أهمها مكتبته العامة في قم المشرفة والتي تعد من المكتبات العالمية الكبرى لما
تحويه من نفائس المخطوطات والكتب ، توفي رحمته الله سنة (١٤١١هـ) ، ودفن بجوار
مكتبته العامة بمدينة قم المقدسة .

(٢) أحد شعراء الأتراك في إيران ، وقد نظم أشعار عديدة بالفارسية والتركية .

يا علي يا ملك الرحمة، أي آية من آيات الله أنت؟
 وقد أقيت على الكل أجنحة الرحمة، فالكل استظل بظلك
 أيها القلب إذ هُديت لمعرفة الله، فتراها في وجه علي
 فو الله إنني عرفت الله بعلي وهو سبب هدايتي إلى الله^(١)
 قال السيد المرعشي رحمته الله : فلما انتهى شهر يار من إلقاء شعره،
 استيقظت من نومي، وبما أنني لم أر شهر يار، سألت صباح ذلك
 اليوم عنه، وقلت من هو شهر يار؟
 قالوا: شاعر يسكن تبريز، قلت: وجهوا له الدعوة من قبلي
 أن يأتينا إلى قم المقدسة.

ولم تمض أيام إلا وشهر يار قد قدم إلينا، فرأيت نفس الشخص
 الذي أبصرته في منامي وهو يلقي أشعاره بحضرة الإمام
 أمير المؤمنين عليه السلام، فسألت منه: متى نظمت هذا الشعر:
 يا علي يا ملك الرحمة، أي آية من آيات الله أنت؟

فتعجب شهر يار من سؤالي هذا، وقال: من أين عرفت أنني
 نظمت هذا الشعر؟! فإني لم أعط هذا الشعر لأحد، ولم يسبق لي

(١) أصل البيتين باللغة الفارسية هو:

علي إي همای رحمت تو چه آیتي خدا را
 که به ما سوا فکندي همه سایه هما را
 دل اگر خدا شناسي همه درخ علي بین
 به علي شناختم من به خدا قسم خدا را

أن تحدثت مع أحد بشأنه ، ولم يعلم به أحد قط .
فقال له السيد المرعشي رحمته الله : رأيتك وسمعت هذا الشعر منك
في المنام ، وقد أنشدته بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فتغير وجه
شهریار وأخذته الدهشة والاستغراب وقال : أنا نظمت هذه
الأشعار في الليلة الفلانية ، فلما عين السيد المرعشي رحمته الله تاريخ
وساعة إنشاد الشعر في المنام ، ظهر أن ذلك كان مطابقاً للتاريخ
الذي انتهى فيه نظم آخر بيت شعري من تلك القصيدة من قبل
شهریار.. انتهى كلام السيد المرعشي رحمته الله .

وعرف فيما بعد هذا اللقاء أن شهریار أخذ ينشر شعره ،
فتشرف بزيارة مدينة النجف الأشرف سنة (١٣٥٧هـ) ، وقد
شوهدت هذه الأشعار قد كتبت بخط جميل ووضعت في إطار ،
وعلقت على الضريح المطهر لأمير المؤمنين عليه السلام .
يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام : «على التواخي في الله
تخلص المحبة»^(١) .

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ص ٤٢٣ ح ٩٧٠٠ .

آيات قرآنية في الإخلاص

❖ ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(١).

❖ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

❖ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٣).

❖ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة: ٩٤ و ٩٥.

(٢) سورة النساء: ١٤٦.

(٣) سورة يوسف: ٢٤.

(٤) سورة الحجر: ٤٠، وسورة ص: ٨٣.

❖ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١).

❖ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٢).

❖ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلَصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٣).

❖ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلَصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٤).

❖ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلَصًا لَهُ دِينِي﴾^(٥).

❖ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٦).

❖ ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧).

(١) سورة مريم: ٥١.

(٢) سورة الصافات: ٤٠ و ٧٤ و ١٢٨ و ١٦٠.

(٣) سورة الزمر: ٢.

(٤) سورة الزمر: ١١.

(٥) سورة الزمر: ١٤.

(٦) سورة غافر: ١٤.

(٧) سورة غافر: ٦٥.

❖ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(١).

❖ ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾^(٢).

❖ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٣).

❖ ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾^(٤).

❖ ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٥).

وفي هذه الآيات البينات وغيرها تأكيد على الإخلاص ، وأمر من أوامر الله التي يجب اتباعها.

ولو لم يكن الإخلاص من الضرورات في حياة الإنسان لما أمر الله تعالى به ، إن هذا التأكيد على الإخلاص في آيات كثيرة يدل

(١) سورة البينة : ٥ .

(٢) سورة البقرة : ١٣٩ .

(٣) سورة الأعراف : ٢٩ .

(٤) سورة ص : ٤٦ .

(٥) سورة الزمر : ٣ .

دلالة قاطعة أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل المؤمن من صلاة أو صيام أو زكاة أو حج أو جهاد وغيرها من الأعمال إن لم يكن المؤمن يؤديه لله وحده، مخلصاً له فيه كل الإخلاص، في السر والعلانية، ودون أن تشوب إخلاصه أي شائبة من شوائب الدنيا.

روايات في الإخلاص

❖ عن النبي المصطفى ﷺ قال: «قال عز وجل: لا إله إلا الله اسمي، من قاله مخلصاً من قلبه دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي»^(١).

❖ وعن أبي ذر الغفاري قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ في المسجد إذ أقبل علي عليه السلام فلما رآه مقبلاً قال ﷺ: «يا أبا ذر من هذا المقبل؟» فقلت: علي يا رسول الله، فقال: «يا أبا ذر أتجبه؟» فقلت: إي والله يا رسول الله إني لأجبه وأحب من يحبه، فقال ﷺ: «يا أبا ذر أحب علياً وأحب من أحبه فإن الحجاب الذي بين العبد وبين الله تعالى حبُّ علي بن أبي طالب، يا أبا ذر أحبُّ علياً مخلصاً فما من امرئ أحب علياً مخلصاً وسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه ولا دعا الله إلا لبَّاه»، فقلت: يا رسول الله إني لأجد حب علي بن أبي طالب على كبدي كبارد الماء أو كعسل النحل أو كآية من كتاب الله أتلوها وهو عندي أحلى من العسل، فقال رسول الله ﷺ: «نحن الشجرة الطيبة والعروة الوثقى

(١) مستدرک الوسائل : ج ٥ ص ٣٦١ ح ٦٠٨٧.

ومحبونا ورقها فمن أراد الدخول إلى الجنة فليستمسك بغصن من أغصانها»^(١).

❖ وعن أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ يُقبل الحسن والحسين ﷺ وهو يقول: «من أحبَّ الحسن والحسين ﷺ وذريتهما مخلصاً لم تلمح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا يكون ذنبه ذنباً يخرج من الإيمان»^(٢).

❖ وعنه ﷺ قال: «إن لكلِّ حقَّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحبَّ أن يحمداً على شيء من عمل لله»^(٣).

❖ وعنه ﷺ قال: «مَنْ ذَكَرَ الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما هم فيه كتب الله له ألف حسنة، ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر»^(٤).

❖ وعنه ﷺ: «العلماء كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر»^(٥).

❖ عن حذيفة بن اليمان قال سألت رسول الله ﷺ عن

(١) أعلام الدين: ص ١٣٦.

(٢) كامل الزيارات: ص ٥١ ح ٤.

(٣) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٠٠ ح ٨٩.

(٤) عدة الداعي: ص ٢٥٧.

(٥) مجموعة ورام: ج ٢ ص ١١٨.

الإخلاص، فقال: «سألته عن جبرئيل فقال: سألته عن الله تعالى فقال: الإخلاص سر من أسرارى استودعته قلب من أحببت من عبادي»^(١).

❖ عن سيدة النساء عليها السلام قالت: «من أصدق إلى الله خالص عبادته أهبط الله عز وجل إليه أفضل مصلحته»^(٢).

❖ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «المؤمن قريب أمره، بعيد همه، كثير صمته، خالص عمله»^(٣).

❖ قال عليه السلام: «إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة»^(٤).

❖ قال عليه السلام: «هدي من أخلص إيمانه»^(٥).

❖ قال عليه السلام: «العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه»^(٦).

❖ قال عليه السلام: «من رغب فيما عند الله أخلص عمله»^(٧).

❖ قال عليه السلام: «العاقل إذا علم عمل، وإذا عمل أخلص، وإذا

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩ ح ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٢٤٩.

(٣) غرر الحكم: ص ٩٠ ح ١٥٣٦.

(٤) نهج البلاغة: ص ١٦٣ من خطبة له عليه السلام برقم: ١١٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٩ ح ١٥٠٦.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٦.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٧.

أخلص اعتزل»^(١).

❖ قال عليه السلام: «من أخلص العمل لم يعدم الأمل»^(٢).

❖ قال عليه السلام: «طوبى لمن بادر أجله ، وأخلص عمله»^(٣).

❖ قال عليه السلام: «السعيد من أخلص الطاعة»^(٤).

❖ قال عليه السلام: «فاز بالسعادة من أخلص العبادة»^(٥).

❖ قال عليه السلام: «أخلص تنل»^(٦).

❖ قال عليه السلام: «من أخلص النية تنزهه عن الدنية»^(٧).

❖ قال عليه السلام: «من أخلص بلغ الآمال»^(٨).

❖ قال عليه السلام: «من أخلص لله استظهر لمعاشه ومعاده»^(٩).

❖ قال عليه السلام: «أخلص لله عملك وعلمك ، وحبك

وبغضك ، وأخذك وتركك ، وكلامك وصمتك»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٤ ح ٤٦٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٢ ح ٣١٣٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٦٧ ح ٣٢٧٠.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٩.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١١.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٦.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٧.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٩.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٠.

- ❖ قال ﷺ: «من كمال العمل الإخلاص فيه»^(١).
- ❖ قال ﷺ: «بالإخلاص ترفع الأعمال»^(٢).
- ❖ قال ﷺ: «قدموا خيرا تنموا وأخلصوا أعمالكم تسعدوا»^(٣).
- ❖ قال ﷺ: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهروا قلوبهم بمواضع ذكر الله»^(٤).
- ❖ قال ﷺ: «اصدقوا في أقوالكم وأخلصوا في أعمالكم وتزكوا بالورع»^(٥).
- ❖ قال ﷺ: «إذا استخلص الله عبداً ألهمه الديانة»^(٦).
- ❖ قال ﷺ: «الإخلاص أعلى الإيمان»^(٧).
- ❖ قال ﷺ: «جماع الدين في إخلاص العمل، وتقصير الأمل، وبذل الإحسان، والكف عن القبيح»^(٨).
- ❖ قال ﷺ: «ثلاث هن كمال الدين: الإخلاص، واليقين،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٨٩٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢١٧ ح ٤٢٨٥.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٨٠.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤١.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٩٦.

والتقنع»^(١).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص غاية الدين»^(٢).

❖ قال عليه السلام: «اعلم أن أول الدين التسليم، وآخره الإخلاص»^(٣).

❖ قال عليه السلام: «آفة العمل ترك الإخلاص»^(٤).

❖ قال عليه السلام: «خير العمل ما صحبه الإخلاص»^(٥).

❖ قال عليه السلام: «من كمال العمل الإخلاص فيه»^(٦).

❖ قال عليه السلام: «ملاك العمل الإخلاص فيه»^(٧).

❖ قال عليه السلام: «صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما: التقى، والإخلاص»^(٨).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص أعلى فوز»^(٩).

❖ قال عليه السلام: «من لم يصحب الإخلاص عمله

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٣٩٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٥ ح ١٤٠٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٢.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٩.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٠.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٤.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩١.

لم يقبل»^(١).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص شيمة أفاضل الناس»^(٢).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص عبادة المقربين (المتقين)»^(٣).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص أشرف نهاية»^(٤).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص ثمرة العبادة»^(٥).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص ملاك العبادة»^(٦).

❖ قال عليه السلام: «مع الإخلاص ترفع الأعمال»^(٧).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص ثمرة اليقين»^(٨).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص غاية»^(٩).

❖ قال عليه السلام: «الإخلاص خطر عظيم حتى ينظر بماذا

يختم له»^(١٠).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٢.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٥.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٦.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩١٢.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٧.

(٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٨.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٨٩٩.

❖ قال ﷺ: «الزم الإخلاصَ في السر والعلانية، والخشيةَ في الغيب والشهادة، والقصدَ في الفقر والغنى، والعدلَ في الرضا والسخط»^(١).

❖ قال ﷺ: «عليكم بصدق الإخلاص، وحسن اليقين، فإنهما أفضل عبادة المقربين»^(٢).

❖ قال ﷺ: «غاية اليقين الإخلاص»^(٣).

❖ قال ﷺ: «فضيلة العمل الإخلاص فيه»^(٤).

❖ قال ﷺ: «عند تحقق الإخلاص تستنير البصائر»^(٥).

❖ قال ﷺ: «أول الإخلاص اليأس مما في أيدي الناس»^(٦).

❖ قال ﷺ: «كيف يستطيع الإخلاص من يغلبه الهوى»^(٧).

❖ قال ﷺ: «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه»^(٨).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩٠٨.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٤.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٨.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٦ ح ٧٠٠٥.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٩ ح ٣٩٤٥.

- ❖ قال ﷺ: «سادة أهل الجنة المخلصون»^(١).
- ❖ قال ﷺ: «ملوك الجنة الأتقياء والمخلصون»^(٢).
- ❖ قال ﷺ: «التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين»^(٣).
- ❖ قال ﷺ: «عليك بالورع فإنه عون الدين، وشيمة المخلصين»^(٤).
- ❖ قال ﷺ: «عليكم بإخلاص الإيمان فإنه السبيل إلى الجنة، والنجاة من النار»^(٥).
- ❖ قال ﷺ: «تقرب العبد إلى الله سبحانه بإخلاص نيته»^(٦).
- ❖ قال ﷺ: «لا يدرك أحد رفعة الآخرة إلا بإخلاص العمل، وتقصير الأمل، ولزوم التقوى»^(٧).
- ❖ قال ﷺ: «الزهد سجية المخلصين»^(٨).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٦ ح ٥٤٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧١ ح ٥٩١٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٣ ح ١٣٤٣.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٣ ح ١٦١٧.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٢١.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٧٥ ح ٦٠٣٢.

❖ قال ﷺ: «عليك بإخلاص الدعاء فإنه أخلق بالإجابة»^(١).

❖ قال ﷺ: «بالإخلاص يكون الخلاص»^(٢).

❖ قال ﷺ: «بالإخلاص يتفاضل العمال»^(٣).

❖ قال ﷺ: «قلل الآمال تخلص لك الأعمال»^(٤).

❖ قال ﷺ: «إن تخلص تفز»^(٥).

❖ قال ﷺ: «على التواخي في الله تخلص المحبة»^(٦).

❖ قال ﷺ: «على قدر قوة الدين يكون خلوص النية»^(٧).

❖ قال ﷺ: «ما ارتاب مخلص، ولا شك موقن»^(٨).

❖ قال ﷺ: «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٣ ح ٣٧٥٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥٩ ح ١٢٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٨ ح ٣٩١٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ح ٢٩٠٦.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ح ٣٩٠٢.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٢٣ ح ٩٧٠٠.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٣ ح ١٦١٩.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٨٤ ح ١٣٤٥.

ولم يحزن صدره بما أعطي غيره»^(١).

❖ كان من دعائه عليه السلام: «اللهم إنني أخلصت بانقطاعي إليك ، وأقبلت بكلي عليك ، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك ، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك ، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه وضلة من عقله ، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا ، وراموا الثروة من سواك فافتقروا ، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا»^(٢).

❖ عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : «قال رسول الله ﷺ : ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٣).

❖ عنه عليه السلام قال : «لا صلاة إلا بإسباغ الوضوء ، وإحضار النية ، وخلوص اليقين ، وإفراغ القلب ، وترك الأشغال ، وهو قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾»^(٤)^(٥).

❖ قال الصادق عليه السلام : «يا إسحاق صانع المنافق بلسانك ،

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٦ ح ٣.

(٢) الصحيفة السجادية : ص ١٣٤ ، الدعاء : ٢٨.

(٣) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٤٢ ح ١٠.

(٤) سورة الشرح : ٧ و ٨.

(٥) مستدرک الوسائل : ج ٤ ص ١٠٦ ح ٤٢٥٠.

وأخلص ودك للمؤمن ، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»^(١).

❖ عنه عليه السلام قال : «قال لقمان : يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشيء من المعاصي ثم زين الطاعة باتباع أهل الحق فإن طاعتهم متصلة بطاعة الله تعالى»^(٢).

❖ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «إن لله عزوجل عبداً في الأرض من خالص عباده ، ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم ، ولا بلية إلا صرفها إليهم»^(٣).

❖ عنه عليه السلام قال : «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرم الله»^(٤).

❖ عنه عليه السلام في قول الله عزوجل : «حَنِيفاً مُسْلِماً»^(٥) ، قال عليه السلام : «خالصاً مخلصاً لا يشوبه شيء»^(٦).

❖ عن جميل بن دراج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال : «خياركم سمحاؤكم ، وشراركم بخلاؤكم ، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان ، والسعي في حوائجهم ، وإن البار بالإخوان ليجبه

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٤٠٤ ح ٥٨٧٢.

(٢) القصص للراوندي : ص ١٩٦ ح ٢٤٦.

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٥.

(٤) وسائل الشريعة : ج ١١ ص ٢٠٣ ح ١٢.

(٥) سورة آل عمران : ٦٧.

(٦) وسائل الشريعة : ج ١ ص ٤٤ ح ٧.

الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان، يا جميل أخبر بهذا غرر أصحابك»، قلت: جعلت فداك من غرر أصحابي؟ قال ﷺ: «هم البارون بالإخوان في العسر واليسر»، ثم قال: «يا جميل أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد مدح الله عز وجل في ذلك صاحب القليل فقال في كتابه: **يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**»^(١)»^(٢).

❖ قال الصادق ﷺ: «لا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون، لأنه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: **إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**»^(٣) وقال: **﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾**»^(٤)»^(٥)

❖ قال ﷺ: «الإخلاص يجمع فواضل الأعمال، وهو معنى مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، فمن تقبل الله منه ورضى عنه فهو المخلص وإن قل عمله، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله، اعتباراً بآدم ﷺ وإبليس عليه اللعنة، وعلامة القبول

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ٤١ ح ١٥.

(٣) سورة الفرقان: ٤٤.

(٤) سورة النحل: ١٠٨.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٩٩ ح ٨٦.

وجود الاستقامة ببذل كل محاب، مع إصابة كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه، باذل مهجته، في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل، لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل، وإذا فاته ذلك فاته الكل، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد، كما قال الأول: هلك العاملون إلا العابدون، وهلك العابدون إلا العالمون، وهلك العالمون إلا الصادقون، وهلك الصادقون إلا المخلصون، وهلك المخلصون إلا المتقون، وهلك المتقون إلا الموقنون، وإن الموقنين لعلى خطر عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١)، وأدنى حد الإخلاص بذل العبد طاقته، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً، فيوجب به على ربه مكافأة لعمله بعمله أنه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة»^(٢).

❖ عنه عليه السلام قال: «قال الله تعالى: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً»^(٣).

(١) سورة الحجر: ٩٩.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ٩٩ ح ٨٦.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٩٥ ح ٩.

❖ عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ما بين الحق والباطل إلا قلة عقل » ، قيل : وكيف ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال عليه السلام : « إن العبد ليعمل العمل الذي هو لله رضا فيريد به غير الله ، فلو أنه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك » ^(١).

❖ كان من دعائه عليه السلام : « واجعني ممن يدعوك مخلصاً في الرخاء دعاء المخلصين المضطرين لك في الدعاء ، إنك حميد مجيد » ^(٢).

❖ عن الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم ، والعلم كله حجة إلا ما عمل به ، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم له » ^(٣).

❖ عن الإمام العسكري عليه السلام قال : « لو جعلت الدنيا كلها لقمة واحدة لقمعتها من يعبد الله مخلصاً (خالصاً) لرأيت أني مقصر في حقه ، ولو منعت الكافر منها حتى يموت جوعاً وعطشاً ثم أذقته شربة من الماء لرأيت أني قد أسرفت » ^(٤).

(١) وسائل الشيعة : ج ١ ص ٤٥ ح ١١ .

(٢) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام : ص ١٠٦ ، الدعاء : ٢٢ .

(٣) مشكاة الأنوار : ص ٣١٢ .

(٤) عدة الداعي : ص ٢٣٤ .

الفهرس

- ٥ كلمة المركز
- ٩ المقدمة
- ١١ لا زلت مؤيداً بروح القدس
- ١٧ جزاك الله خيراً يا ابن راحة
- ١٩ بردة الرسول ﷺ
- ٢٦ أين يا أبا ليلى ؟
- ٣١ شغله القرآن الكريم عن الشعر
- ٣٣ أوتي من الأجر مرتين
- ٣٥ اللهم حوالينا لا علينا
- ٣٨ اعذرنا يا أبا فراس ؟
- ٤٥ الشهادة ببركة دعاء الإمام علي عليه السلام
- ٥٣ والله لقد شهدك الملائكة المقربون
- ٥٥ إنه على دين الله
- ٥٨ أحفظنيها جدي رسول الله ﷺ
- ٧٠ أحمل خشبتي على كتفي

- ٧٧ قبلتُ هديتك
- ٧٩ يا غلام سق إليه البغلة
- ٨٣ دراهم الإمام الرضا عليه السلام
- ٨٥ أما سمعت أبيات ابن صيفي
- ٨٩ من لا يحبه فليس بمؤمن
- ٩٥ مبعوث فاطمة الزهراء عليها السلام
- ١٠٠ مطلعها يناسب سجع الختم
- ١٠٢ خلعة على قبر الرسول ﷺ
- ١٠٣ كيف بشر؟ كيف بشر؟
- ١٠٦ سأكتب لك حوالة
- ١٠٩ استح من وجه علي عليه السلام
- ١١٠ لك علينا حقان ...
- ١١٣ استعذ واقرأ
- ١١٨ الزهراء عليها السلام تنظم مطلع القصيدة
- ١٢١ قصره مقابل قصورنا
- ١٢٣ عليك أن تبدأ بالحسن عليه السلام
- ١٢٥ (أحسنت) .. بماء الذهب
- ١٣٠ سقط العرش على الأرض
- ١٣٥ الحسين عليه السلام أتم له البيت
- ١٣٨ يد الإمام الرضا عليه السلام تصافحني

- ١٤٠ كيف ترجمت أشعاري؟
- ١٤٢ الرسول ﷺ والحجة يشاركانه في القصيدة
- ١٤٤ حزين في يوم عيد الغدير
- ١٤٧ أقسم عليك بحق علي ﷺ
- ١٤٩ اذهب إلى الهند
- ١٥٠ مسّه الإمام ﷺ فلم يحترق!!
- ١٥٢ الرؤيا الصادقة
- ١٥٣ الطفل الأعمى وبركات زينب ﷺ
- ١٥٤ أصعده جبرائيل وأنزلناه نحن
- ١٥٥ كنا حاضرين عند منبر النبي ﷺ
- ١٥٧ رؤية الجن
- ١٥٩ رأيتك وسمعتك تنشد القصيدة
- ١٦٣ آيات قرآنية في الإخلاص
- ١٦٧ روايات في الإخلاص
- ١٨٢ الفهرس